السنة الثالثة عشرة    العدد ٧    تموز سنة ١٩١٠

# المشرق

## شركة مار منصور دي بول

لمة تاريخيّة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

ان من العلامات المميّزة لكنيسة المسيح الحقيقيّة والسمات الخاصّة بها دون سواها محبّة ابنائها للقريب تبعًا لقوله تعالى (يو ١٣: ٣٥): «بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي اذا كنتم تحبّون بعضكم بعضًا». فترى الكنيسة حيثما اتخت ركابها ومدّت اطنابها أسرعت الى مساعدة ذوي البأساء ولسعاف الصابين بالنكبات والمبتلين بنوازل الدهر وبلايا الحياة في كل مظاهرها وضروب آفاتها بين كل عباد الله على اختلاف مللهم ونحلهم لتشفي على قدر استطاعتها كل داء وتلطّف كل وجع وتسدّ كل حاجة حتى انّ احد كبار فلاسفة القرن المتصرم امكنهُ ان يقول في نادٍ حافلٍ ضمّ اليه كثيرًا من ارباب الاديان المختلفة: «اقول ولا اخاف ان ينكر عليَّ احد منكم قولي انّ الكنيسة الكاثوليكيّة هي اعظم منشئة للاعمال الخيريّة في العالم. فان رأيتم بلدًا توفّرت فيه المساعي الخيريّة تأكّدوا انّ للكثلكة فيها يدًا طويلة بل اوفى الاسهمة فان المشروعات الخيريّة تنبت تحت اقدامها كما تنبت الأزهار في الرياض بعد هطلان الامطار». ولكلّ عمل من هذه الاعمال المبرورة التي اخذت الكنيسة على عاتقها القيام بها تاريخٌ عجيب لا يتصفّحهُ القارئ الّا عظّم الله ومجّدهُ في ما الهمهُ لعباده من طرائق الاحسان. فنها ما يرتقي الى قرون عديدة فلا تنحصر تفاصيل اخبارهِ في مجلّدات ضخمة ومنها ما هو أحدث عهدًا نشأ في الازمنة المتأخرة فظهرت آثارهُ الطيّبة في كل الاقطار

ولعلَّ القرن السابق الذي استفحل فيهِ الشرّ وانتشر روح الكفر كان من أغنى القرون باعمال الخير نحو القريب اذ رأى الكاثوليك انَّ في المشروعات الخيريَّة أحسن جولب على اهل الكفر ففيهِ قامت جمعيات رهبانيَّة لا تُحصى لمعالجة كل الاسقام المادّيَّة والادبيَّة ... بل نشأت جمعيات دينيَّة بين العالميّين اقدموا فيها على كل اعمال الصلاح بتراهة عجيبة وتَفانٍ يذهل العقول

وفي هذا اليوم تلتي بنظرنا الى احدى هذه الجمعيَّات الخيريَّة التي عطَّرت العالَمين بشذا مبرَّاتها فامتدَّت فروعها الى بلادنا منذ خمسين سنة واحتفلت شركتها الوطنيَّة مؤخَّرًا بعرسها الذهبي فهنَّأناها بهذا الموسم البهيج ووعدنا ان نفرد لتاريخ الشركة العموميَّة مقالة ها نحن نقوم بوعدنا فنسرد مجمل اخبارها في هذه الصفحات ليرى القرّاء ما عملتهُ شركة واحدة في الكنيسة من الاعمال العظيمة ويقيسوا عليها بقيَّة الجمعيَّات الخيريَّة التي يطول ذكرها

ولا نحتاج لعمري الى دليل بعيد لتأييد هذا القول فانَّ في الاستانة العليَّة وسواحل الشام وانحاء فلسطين ووادي النيل ما ينطق بلسان حالهِ بصحَّتهِ فانَّ اربعة اخماس المشروعات الخيريَّة التي تُرى فيها يقوم بها الكاثوليك من مستشفيات ومياتم ومستوصفات وملاجئ ومآوي ليليَّة وعيادة المرضى وزيارة المحبوسين وايواء الغرباء وتربية اللقطاء وتهذيب الاحداث وعلاج المشوهين - فيصحُّ في كل آن تكرار قول الشهيد القديس لورنسيوس للمغتصب الذي كان يطلب منهُ ان يدلَّهُ على كنوز الكنيسة: «ليس للكنيسة كنز آخر سوى الفقراء وذوي الاسقام»

*

في احدى ليالي الشتاء من سنة ١٨٣٣ كان نخبة من الشبَّان الكاثوليك مجتمعين في احد النوادي التي كان انشأها المسيو بالي (M. Bailly) من علماء باريس في عاصمة فرنسة لينشر بين الشبيبة العلوم العصريَّة مؤاخيةً لمبادئ الدين وكان اتى في تلك الليلة الى ناديهم بعض رصفائهم غير الكاثوليك الدارسين معهم في كليَّة باريس فوقعت بينهم مناظرة في العقائد حمي وطيسُها الى أن قام أحد اولئك المدعوّين فقال: «كفاكم أيها الكاثوليك الافتخار بايمانكم فأرونا شيئًا من اعمالكم فانَّ الشجرة تعرف من اثمارها على قول الانجيل». فكانت هذه الكلمة اشبه بجربة في قلب البعض من

السامعين المتحمّسين في الدين فصرخ واحد منهم: هيًّا بنا الى عمل الخير. وقاموا من ساعتهم وآلوا على نفسهم بان ينشئوا جمعيّة خيريّة غايتها اعانة الفقراء وزيارتهم في أكواخهم لسدّ اعوازهم. وفي تلك الليلة ارادوا لهم شاهدًا على صدق عزمهم فانّهم نقلوا ما كان بقي عندهم من الوَقود الى عائلة فقيرة لتصطلي بهِ وقضوا آخر فصل الشتاء بلا نار. وما مرَّ عليهم ايّام قليلة حتى أنشأ ثمانية منهم شركة جعلوها تحت شفاعة القديس منصور دي بول إمام الجمعيّات الخيريّة في القرن السابع عشر الذي اختاره الحبر الاعظم لاون الثالث عشر سنة ١٨٦٦ كشفيع لكل الشركات الخيريّة في العالم الكاثوليكي. وكان اولئك الشبّان كلّهم في ربيع العمر ليس بينهم الّا واحد تربي سنّه قليلًا على العشرين. وكان في مقدّمهم فردريك اوزانام الشهم الهمام الذي كان جامعًا في شخصه كل صفات العقل والقلب فاشتهر مدّة حياته كلّها بعلمهِ الواسع وتُقاهُ لربّهِ فوضع هؤلاء لفئتهم قوانين مملوءة حكمةً وتجرّدًا واختاروا لهم استاذهم السيو بالّي كرئيس لجماعتهم الخيريّة وجعلوا لهم ايّامًا معلومة يجتمعون فيها ليتباحثوا في حاجات البؤساء والطرائق الكافلة باسعافهم. وعيّنوا لكلّ فريق منهم بعض العيال من الساكين يزورها كل اسبوع ويحمل اليها ما امكنهُ من الحسنات

هكذا كانت بداية تلك الجمعيّة الصالحة التي أشبهت في نشأتها حبّة الخردل الانجيليّة وهي اليوم تمدّ اغصانها الى اقاصي المعمور. وكان وضع اساسها في اواسط شهر ايار من السنة ١٨٣٣ ولم يكن للاكليروس في انشائها مدخل الّا انّ اصحابها اتّخذوا لهم بين ارباب الدين كهنة وكلوا اليهم امورهم الروحيّة وارتشدوا بمشورتهم واستضاءوا بنبراس فضلهم وعرضوا عليهم قوانينهم وصدّروهم في جلساتهم العموميّة وهم مع ذلك مستقلّون في العمل وفي تنظيم جماعتهم. وكان مجموع ما انفقهُ اعضاء الجمعيّة من الدراهم على البائسين في سنتهم الاولى لم يبلغ الف فرنك اذ لم يكونوا اغنياء وهم وقتئذٍ من جملة الدارسين واكثرهم ليسوا من باريس وانّما قصدوها لدروسهم موقّتًا

وكان فكرهم ان يبقوا ثمانية تجمعهم رابطة الصداقة والدين الّا انّ المثل كما قيل مُعْدٍ صالحًا كان او طالحًا فما لبث عددٌ من الشبّان ان طلبوا الانضواء الى جماعتهم فقبلوهم حتى ناف مجموعهم على المئة بعد سنة وازداد بذلك دخل الشركة فأمكنهم ان يوسعوا نطاقهم ويوزّعوا على المحتاجين مبلغ الفي فرنك. وكان من جملة بنود جمعيّتهم

أن لا ترصد من المبلغ المجموع شيئاً لمستقبل الجمعيَّة بل تصرفهُ كلَّهُ على البائسين متكلةً على قولهِ تعالى: أعطوا تُعطَوا وبالكيل الذي تكيلون يُكال لكم ويُزاد.

وقد ثبت ذلك بالحرف في شركة مار منصور فانها مُذ عُرفت غايتها وعلم ذوو الحميَّة والدين ما ترمي اليهِ من الاغراض الاجتماعيَّة الجليلة تواردت اليها الحسنات وتقاطر اليها المشتركون من انحاء باريس وطلبوا بالحاح الانضمام اليها حتى ضاقت بهم معاهد الاجتماعات وقُضي على المسيو بالي ان ينشئ فروعاً جديدة لجمعيتهم فصارت فرعين ثم ثلاثة فروع ثم اكثر من ذلك فنتج عن هذا التقسيم انَّ الباريسيين زادوا اقبالاً على جمعيَّة مار منصور دي بول حتى بلغ عدد المنتمين اليها في السنة الرابعة ٢٣٧ شاباً في مقتبل العمر اقلعوا عن الملاهي التي اعتادوها وقت دروسهم ليوقفوا نفوسهم لعمل الخير وزيارة الفقراء ومساعدة البائسين وكان لكلّ فرع اجتماعاتهُ القانونيَّة يجري فيها على موجب القوانين المنشأة سابقاً . وكان متقدمو كل فرع يعقدون جلسات خاصَّة يتفقون فيها على نظام واحد فيبقى الروح واحداً والغاية واحدةً

وفي تلك الاثناء انهى بعض اولئك الشبان دروسهم في باريس فعادوا الى اوطانهم وكان اوَّل ما حاولوا انشاءهُ في مسقط رأسهم جمعيَّة كجمعيَّة باريس كانوا يشركونها بشركة العاصمة ويسيرون فيها على قوانين الجمعيَّة الأُمّ ويخصُّون قواهم ومالهم بخدمة المسكوبين . فكنتَ ترى في مدن ليون ونيم وران وديجون وتولوز ونانسي ومتس وليل وكبار جميات يلمسها روح شركة باريس فتجاريها في كل مساعيها الخيريَّة

وكان الاساقفة في فرنسة ينظرون اوَّلاً الى الشركة بعين الحذر خوفاً من ان يسري الى اعضائها شيٌ من روح العصر والاستبداد الديني الَّا انَّهم ما فتئوا ان تبيَّنوا صدق ايمانهم وشدَّة غيرتهم على الدين وطاعتهم التامَّة الرؤساء الروحيين فاخذوا من ثمَّ يشيدون في محامدهم ويطرئون اعمالهم ويحثُّون المؤمنين على الانتظام في سلكهم لاسيما بعد ان أطلع الحبر الروماني غريغوريوس السادس عشر على مآثر الشركة واصدر في اثباتها براءةً تاريخها ١٠ ك ٢ سنة ١٨٤٥ ضمَّنها الثناء الطيّبَ على همَّة رؤسائها وتراهة اعضائها ومنحهم جميعاً نعماً روحيَّة غزيرة . وشفع ذلك ببراءةٍ ثانية أعطيت في السنة عينها في تاريخ ١٢ آب أيَّد فيها منطوق الرسالة الاولى واضاف اليها هبات جديدة من فيض الكنوز الرسوليَّة . فكان لهاتين البراءتين احسن وقع لدى المؤمنين

اجالًا واصدر الاساقفة عدّة مناشير دعوا فيها رعاياهم الى موالاة الشركة ومناصرة اعضائها. فانتشرت ايَّ انتشار ليس فقط في فرنسة بل في جنبة انحاء اوربة

وكان رئيسها الاوّل المسيو بالي لا يألو جهدهُ في تمكين اصول الشركة وتوسيع اشغالها وحفظ روحها. وسعى حفظاً لوحدتها في تنظيم مجالس شورى منها خاصّة في كل مدينة ومنها مركزيّة في كل دولة او ناحية وجعل مرجع الجميع الى مجلس شورى عامّ يُعقد سنويًا في باريس. وكان يكاتب بذاتهِ او بمعاونيهِ المجالس المركزيّة والجمعيّات الخصوصيّة وفروعها فيشكر تارةً وتارةً ينشّط الهمم وحيناً يرشد وحيناً آخر يقوّم ما يرى من الاعوجاج. وكان في كل سنة يكتب رسالة عموميّة لكلّ الجمعيّة ليوقفها على نموّ الشركة ويؤدّي لها النصائح الابويّة ليزيد الاعضاء تفانياً في سبيل الخير وخدمة المساكين. ولدينا كثير من هذه الرسائل التي تظنّها اذا قرأتها لاحد افاضل الاساقفة او آباء الكنيسة لا لرجل عالي

على انّ تراكم الاشغال والتقدّم في السنّ دفعا المسيو بالي الى ان يطلب من شورى الجمعيّة ان تقبل استعفاءهُ سنة ١٨٤٤ فأجابوا الى طلبهِ آسفين فاختاروا له كخلفٍ مُحسناً ذائع الشهرة وكبير الهمّة المسيو غوسّان ( Gossin ) فباشر بالعمل بمزيد النشاط الّا انّ صحّتهُ الضعيفة اضطرّتهُ بعد ثلاث سنين الى تقدمة استعفائهِ فأُجيب مُلتمسه واقاموا بدلًا منه رجلًا مقداماً ذا فهمٍ متوقّد وحبٍّ ملتهب للفقراء كان هداهُ الى اتمام واجبات دينهِ الاب دي راڤينيان اليسوعي والواعظ الشهير في كاتدرا باريس المعروفة باسم «نوتردام» وهو احد الاشراف اسمهُ بودون دي موني (Baudon de Mony) فاستلم اشغال الشركة في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٤٧ وبقي على رئاستها نحو ٤٠ سنةً الى غاية حزيران سنة ١٨٨٦ فقضى تلك المدّة الطويلة بجميع اعمال الرحمة التي خلّدت ذكره في قلوب مئات الالوف من البشر الذين عرفوا فضلهُ ونالوا صدقاتهِ الوافرة. وقد سطّر سيرتهُ العجيبة احد كبار الكتبة الاب شالّ ( Schall ) فاجازت جمعيّة العلوم الفرنسويّة هذا الكتاب واهدت وسام الشرف لمؤلفه - والتأليف عبارة عن سلسلة متواصلة لكل المبرّات التي اتاها المسيو بودون تاطيفًا لاسقام البشريّة حبًّا بهِ تعالى فقط

وكان فردريك اوزانام اكبر منشئي الشركة كساعدٍ لرئيسها على عهد المسيو بالي اوّلًا ثم في أيام خلفَيه المسيو غوسّان والمسيو بودون شاطرهم كل الاتعاب والمشقّات في

انجاح مساعيهم الخيرية ولم يزل يشتغل في انحاء فرنسة ويكتب ويخطب حتى كلّل الله مساعيهُ بالنجاح التام. ثم رأى انّ اعمال الخير لا تختصّ ببلدٍ واحد فرحل الى ايطالية وانكلترة وبلجكة واسبانية وانشأ فيها كلّها فروعاً لشركة مار منصور وانعشها بروح الدين والحبّ الخالص للقريب. وكان مع ذلك ورغماً عن الاسقام التي تتناوبهُ لا يمل من الكتابة يوماً فألف عدة تآليف خطيرة جُمعت في مجلّدات عديدة تزدان بها مكاتب الخاصّة ونال بسببها امتيازات شتى وجوائز كبيرة كان يوزّعها على البائسين. بيد انّ تلك الاشغال ما لبثت ان أنهكت قواهُ فأبلى خالقهُ بعد مدة فمات ميتةً صالحة في مرسيلية والصلاة آخر ما تلفّظت بهِ شفتاهُ وذلك في ٨ ايلول سنة ١٨٥٣ في يوم عيد ميلاد البتول الطاهرة التي كان متعبّداً لها عبادة خاصّة. فظهر اوزنام في موتهِ اعظم منهُ في حياتهِ فافاض الكل في حسن سجاياهُ وشرف نفسهِ وزهدهِ في العالم وتفانيهِ في خدمة ابناء جنسهِ كما اطرأوا وفرة اعمالهِ الادبية والاجتماعية مع ان عمرهُ لم يتجاوز الاربعين

وكانت جمعية مار منصور يوم وفاة منشئها الاول قد بلغت مقاماً اثيلاً وكل محبي الخير يرنون اليها بعين الرضى والاعجاب. وقد ظهرت محاسنها في العام المقبل لمّا استدعى بيوس التاسع رئيسها وعمدتها الخاصّة الى رومية وباركهم بركةً واسعة وناولهم القربان الاقدس بيدهِ واسترسل في الثناء على همّتهم وتبرّع على جمعيتهم بمبلغ ١٣,٥٠٠ فرنك مع ما كان عليهِ الكرسي الرسولي في ذلك الوقت من الضيق. وتهلّل البابا فرحاً لمّا سمع خلاصة اعمال تلك الشركة الزاهرة التي بلغ اوانئذٍ عدد اعضائها عشرات الوف بعد ان كانوا ثمانية في بدء الامر وكانت فروع الجمعية منبثّة في كل الاصقاع وعددها ٢٨١٤ فرعاً بحيث تناولت فروعها كل ممالك اوربة وكثيراً من بلاد اميركة وآسية وافريقية واستراليا امّا وارداتها السنوية فكانت تبلغ نيفاً وثلاثة ملايين من الفرنكات وكانت لم تتجاوز كما سبق الف فرنك في السنة الاولى

فعاد اصحاب العمدة من رومية وصدورهم تتأجج غيرةً لمواصلة اعمالهم الخيرية وتنميتها شاكرين لإمام الاحبار الذي منح للجمعية ثلاث براءات اعربت عن سمو رضاهُ عنهم وخوّلهم من الانعامات والامتيازات ما زاد في نشاطهم وضاعف هممهم في مؤاساة اخوتهم المحتاجين وجعل لهم في رومية كردينالاً محامياً ينظر في شؤون شركتهم

ولم يكن همُّهم الوحيد زيارة العيال الفقيرة واسعافها بالصدقات بل اضافوا الى ذلك اعمالًا أخرى شريفة أنفقوا في إنشائها الملايين من الفرنكات كمآوي للاطفال اللقطاء . وملاجئ ليل للفقراء . ومدارس مجانية لتثقيف الصغار . ومعامل صناعيَّة يتعلَّم فيها اولاد الفقراء حِرَفًا يترقّون بها لمعاشهم . ومطابخ اقتصاديَّة لمن يعدمون القوت اليومي . ومخازن يوزّعون فيها الكسوة الضروريَّة للمحتاجين . ومستوصفات للمرضى والمحبوسين . ومنازل للعجزة ومدارس ليليَّة وغرف قراءة ونوادي للجنود وغير ذلك من اعمال الرحمة التي كانوا يأتونها لخدمة القريب دون تمييز المذاهب والاديان

وفي السنة ١٨٨٣ أقامت الجمعيَّة اعيادًا شائقة بنسبة يوبيلها الذهبي فاوفدت الفروع الخاصَّة من كل انحاء المعمور وفودًا يمثّلونها في باريس حيث ظهرت لكل العيان عجائب المحبة الكاثوليكيَّة التي جمعت في وحدة العمل والغاية الشريفة اناسًا من كل الاقطار وكافَّة لغات العالم. وكذلك جرت في رومية مظاهرات فخيمة فكرَّر الحبر الاعظم لاون الثالث عشر آيات حبّ الكرسي الرسولي لجمعيَّة مار منصور دي بول ووهب رئيسها وسام كومندور القديس غريغوريوس الكبير. ولمَّا كتب في العام التالي منشوره الشهير في حالة الفَعَلة أثنى فيه اطيب ثناء على شركة مار منصور وحرَّض الكاثوليك على الاقتداء بآثار اصحابها . وكان بلغ في سنة العيد الذهبي عدد المنتمين الى الشركة نحو ٧٠,٠٠٠ يؤلفون أكثر من ٣٠٠٠ جماعة محليَّة ويجمعون في السنة نيِّفًا وثمانية ملايين من الفرنكات يوزّعونها على ١٢٠,٠٠٠ عائلة . اما مجموع ما كانوا فرَّقوه في سبيل البرّ منذ ابتداء الجمعيَّة فكان ينيف على مئة وثلاثين مليونًا من الفرنكات .

وكان قوم من اعداء الكنيسة اذ رأوا ما ينال الدين من الفخر بسبب جمعيَّة مار منصور جعلوا يناصبونها ويغرون الحكومة الفرنسويَّة على أصحابها فضايق عمَّال الدولة على رؤسائها وسعوا في تشتيت نظامها الَّا انَّ كثيرين من الكتبة والخطباء والسياسيين اخذوا بناصر الجمعيَّة ونفوا عنها الشكايات الباطلة التي موَّه بها اعداء الدين وجه الحقيقة ولم يزالوا يدافعون عن حقوقها ويذبُّون عن حوزتها حتى افحموا مُعاديها واعلنوا بفضل اربابها العميم

ثم عادت الجمعيَّة الى اعمالها الخيريَّة بنشاط غريب فأقبل عدد لا يُحصى من المحسنين وطلبوا ان يشتركوا معها . فطرق المسيو بودون ابوابًا جديدة من الخير قام بها اصحاب

الشركة كتربية اليتامى وتعليم الجهّال اصول الدين وتنظيم الزواجات غير القانونيّة ودفن الموتى والصلاة على نفوسهم

ولمّا اعتزل المسيو بودون اشغال الجمعيّة في السنة ١٨٨٦ كما سبق لتوعّك صحّتهِ وكبر سنّهِ (وكانت وفاتهُ في ٩ حزيران ١٨٨٨) قام باعباء عمله المسيو باجس (A. Pagès) اتّفقت اصوات الشورى على القاء مقاليد الشركة الى درايتهِ وهمّتهِ القعساء. فتعقّب آثار سلفهِ بحميّة وبذل نفسهُ في إنجاحها . ووقعت في تلك الاثناء سنة اليوبيل الكهنوتي للاون الثالث عشر فعقد الموسيو باجس في رومية حفلة كبيرة حضرها ١٥٠٠ نائب من فروع الشركة المنبثّة في اربع خوافق الدنيا ثم حظوا بالمثول امام الحبر الاعظم وتقبيل اقدامهِ في ٨ شباط سنة ١٨٨٨ فوجد البابا في عددهم وغيرتهم تعزية عظيمة ولاسيا اذ قدّم لهُ الرئيس قطراً بديعاً كان يحوي اسماء كل فروع الشركة في العالم باجمعهِ وهي بالغة ٤،٢٠٠ فرع تضمّ اليها نيفاً و ٨٣،٣٠٠ من المشتركين ينيف مجموع حسناتهم على عشرة ملايين من الفرنكات فقضى امام الاحبار العجب من نموّهم وكثرة اعمالهم فزوّدهم باغزر بركاته الرسولية

ومنذ تلك السنة لم تجد همّة جماعة مار منصور بل كانت تزيد عاماً بعد عام عدداً وجوداً. ولمّا اغتالت المنيّة في ١٨ ايلول سنة ١٩٠٣ المسيو باجس دُعي الى رئاسة الجمعيّة المسيو بولس كالون (P. Calon) وهو رئيسها الحالي الذي يقتصّ آثار اسلافهِ فزادت الشركة بحسن سعيهِ نموّاً وفضلاً وقد وقفنا على لائحة الجمعيّة ومجموع وارداتها وصادراتها للسنة الماضية فاذا هي بالغة عدداً لا يكاد يصدّقهُ القارئ لولا تفاصيلهُ بلداً فبلداً فانّ مجموع المبالغ التي جاد بها المشتركون خمسة عشر مليوناً من الفرنكات وُزّع منها ثلاثة عشر مليوناً ونصف على المعوزين وذوي الاسقام والمصابين بكل انواع الآفات. وفرنسة وحدها مع كثرة مبرّاتها الخارجة تدفع الثلث من هذا المبلغ المعظم. امّا مراكز الجمعيّة وفروعها فبالغة ٦٠٠٠ ينيف عدد المشتركين فيها على ١٠٠،٠٠٠ وكلّها مرتبطة بروابط الالفة والاتّحاد مع المجلس الاعلى في باريس تجري في جمع الصدقات وتوزيعها على القوانين العموميّة التي وُضعت قبل ٧٥ سنة. والاعضاء مع اهتمامهم باسعاف القريب لا ينسون العناية بتقديس نفوسهم فلهم في اجتماعاتهم صلوات يتلونها وقراءات روحية يسمعونها ويحضرون سويّةً الذبيحة الطاهرة وفي كل سنة يُدعَون

الى رياضات تقويَّة وممارسات دينيَّة من شأنها ان تسعر في قلوبهم نار المحبَّة في خدمة ربّهم واعانة قريبهم

*

وكان بودّنا ان نتتبَّع ولو بوصف وجيز اعمال شركة مار منصور في كل مملكة ودولة ليقف القرَّاء على ما أتتهُ من المشاريع الخيريَّة في كل طبقات الهيئة الاجتماعيَّة غير انَّ ذاك الوصف مهما كان قليلًا لا تحصرهُ المجلَّدات فكيف بالصفحات · وانَّما نذكر هنا الفروع الشرقية التي نمت بيننا من تلك الدوحة الوارفة الافنان

وعلى ما يظهر لنا انَّ الاستانة العلية كانت اوَّل مركز في الشرق لشركة مار منصور وذلك سنة ١٨٥٤ بعد حرب القريم فكان لزيارات الاخوة للمنكوبين ولاسعاف الفقراء على اختلاف نحلهم احسن وقع في قلوب اهل العاصمة عمومًا حتى انَّ كثيرين تبرَّعوا بمالهم بيد سخيَّة ليوزّعها اعضاء الجمعية على المحتاجين · وفروعها اليوم ستَّة

وما لبثت ازمير أن اقتدت بمثال الاستانة فأُنشئت فيها فئة للجمعية أتت بأثمار شهيَّة تحت ادارة الآباء اللعازريين ثم نمت فانقسمت الى فرعين

اما قطر الشام فكان فيهِ فضل التقدّم لمدينة بيروت في عقد اوَّل شركة لجمعية مار منصور وكان تاريخ انشاء ذلك الفرع في ٧ ايَّار سنة ١٨٦٠ اعني قبل حوادث الشام ولبنان المحزنة بنحو شهر فقط بعد ان اتَّفق عليهِ خمسة رجال من الطوائف الكاثوليكية في المدينة اعني بهم الافاضل بطرس ديشان اللاتيني وراجي اده ونقولا قاطي المارونيَّان وانطون عبد صبَّاغ الروم الكاثوليكي الملكي وميخائيل فرج الله الارمني اجتمعوا لاوَّل مرَّة في دير الآباء اليسوعيين القديم بحضور رئيس الرهبانيَّة اليسوعية العام الاب رَيمند استيف الشهير بالاب سالمان واختاروا لرئاسة الشركة بالصوت الحي بطرس ديشان

ومنذ ذاك الوقت اخذت الشركة البيروتيَّة تنمو وتزداد وتُعنى بكل اعمال الصلاح على مألوف عادة الجمعيَّة العموميَّة وانضوى اليها قوم من الاشراف وذوي الرتب السامية الدينيَّة والعالميَّة منهم بطاركة كالسيّدين يوسف والرغا وغريغوريوس يوسف الاوَّل واساقفة كالسيّدين طوبيَّا عون وانطونيوس قنداقت ومنهم متصرّفون في لبنان كالمرحومين فرانقو باشا وواصا باشا ومنهم قناصل دول وامراء وشيوخ كجورج لودلا ونقولا بك سيوفي والامير فارس شهاب والكنت نصر الله دي طرَّازي والشيخ شديد

بك حبيش وغيرهم كثيرين تجد اسماءهم مُدوَّنة في خلاصة اعمال الشركة السنوية

وبعد قليل ضاق نادي الجمعيَّة بالاعضاء. فقُسمت الشركة الى عدَّة فروع خاصة تبلغ اليوم خمسة وهي جمعيَّات قلب يسوع ومريم العذراء ومار يوسف والقديس لوقا والقديس جرجس تجمع في كل سنة نيفاً و ١٥,٠٠٠ غرش يصرفونها في سبيل البرّ وان حُسب مجموع ما انفقتهُ الجمعيَّة منذ نشأتها الى اليوم كاد يبلغ ثلاثة ملايين من الغروش. فكفى بذلك دليلًا على عظم فضل الجمعيَّة ووفرة مبرَّاتها جازى الله المشتركين فيها وكل المحسنين اليها الف خير. وقد قام الاخوة ما عدا زيارة الفقراء باعمال خيريَّة اخرى متعددة ففتحوا معهدًا لليتامى ومكاتب مجانية للصغار وناديًا لرعاية العملة ومدارس للاحد وغير ذلك من الأعمال الجليلة التي أكسبت شركتهم اعتبار العموم دون استثناء.

وقد اصدرت الجمعيَّة نشرةً شهريَّة ظهرت سنة ١٨٦٣ كانت تحتوي فصولًا مفيدة وكانت نشرت قوانينها اوَّلًا سنة ١٨٦١ واعادت طبعها موسَّعةً سنة ١٨٦٣ في مطبعتنا

وقد دبَّر الجمعيَّة في هذا نصف القرن رجال ذوو عقل صائب ودين واسع ونزاهة تامَّة وكم حاتمي نذكر منهم المرحومين بطرس ديشان (P. Deschamps) الذي اضحى اسمهُ مرادفًا للغيرة والاحسان فانعم عليهِ الحبر الاعظم بوسام « البابا والكنيسة » ويوسف برطاليس (J. Portalis) مثال الرأفة والبرّ. وراجي ادّه الذي تفانى في خدمة الشركة ٣٠ سنة بلا ملل . وبشاره الخوري الذي سردنا في المشرق (٣: ٩٧—١١) اعماله الطيبة . وغير هؤلاء ممَّن حفظت الجمعيَّة اسماءهم في سجلَّاتها بل طبعت ذكرهم في صفحات قلوب اعضائها لما ادّوا لها من الخدم المشكورة كالآباء اليسوعيين هنري دي برونيار (H. de Prunières) وفرنسيس بدور (F. Badour) وبولس غرنيه (P. Garnier) والخوريين الفاضلين جبرائيل ملحمه واغناطيوس الحاج

ولا عجب بعدما قلنا ان تكون الجمعية البيروتية نالت غير مرَّة من فضل القصّاد الرسوليين في سوريَّة الثناء الطيِّب على مساعيها بل تلطَّف الحبر الاعظم بيوس التاسع واعرب عن سموّ رضاهُ من الشركة واعمالها في براءةٍ تاريخها ٢٢ ك ٢ سنة ١٨٧٠ .

وقد جاء في الشهر المنصرم دليل جديد على تعطُّفات نائب المسيح على الارض اذ ورد الجمعيةَ رقيمٌ بخطّ يد قداسة الحبر الاعظم يهنئ فيه الجمعية على بلوغها السنة الخمسين

ويمنح اعضاءها البركة الرسولية وغفرانًا كاملًا على الشروط المعتادة

ومما يعود فضلهُ نوعًا الى شركة مار منصور في بيروت انها كانت اكبر محرّك لانتشار الجمعيات الخيرية في هذه البلاد بمثل ذويها وتحريضاتهم شفاهًا وكتابًا. وكان الدمشقيون اسرع من غيرهم في اقتفاء معالم شركة بيروت فأنشأوا جمعية ازهرت واثمرت بزمن قليل حتى اضطروا الى قسمتها الى عدة فروع تبلغ في يومنا الستة ومدخولها ينيف على ٢٠,٥٠٠ غرش في السنة. ومثلها في النجاح ووفرة الواردات الفروع الاربعة من جمعية مار منصور في زحلة والمعلقة التي تتصدق على المحتاجين كل سنة بأزيد من عشرة الاف غرش. وكذلك الشبعاء فانّ جمعيتها المنشأة سنة ١٨٩٨ بهمّة الآباء اليسوعيين على قدم من النجاح لها بعد بيروت المقام الثاني في كثرة الاحسانات على المساكين فانها صرفت في العام السابق نحو ٣٠,٠٠٠ غرش في اعمال الخير. وفي غزير جمعية تحت ادارة الآباء اليسوعيين تسكب في السنة في حجر الفقراء ٢٦٠٠ غرش. ويقال انّ مثلها في بسكنتا

وفي مصر والاسكندرية وطنطا والمنيا جمعيات خيرية لمار منصور دى بول كما في الشام اكبرها جمعية القاهرة المنقسمة الى اربعة فروع توزّع على البائسين كل سنة اكثر من ٧٠,٠٠٠ غرش يليها جمعية الاسكندرية البالغ واردها فوق ٤٠,٠٠٠ غرش يوزّعها الاعضاء على ذوي الحاجات

وفي فلسطين ثلاث جمعيات لمار منصور في القدس الشريف وبيت لحم ويافا لم نقف على وارداتها. وكذلك في آطنة جمعية يبلغ مصروفها السنوي على الفقراء ٨,٠٠٠ غرش

فترى من هذا النظر الاجمالي ما جرى بواسطة جمعية مار منصور من المبرّات المديدة التي تبهج القلوب سرورًا وتثلج الصدور فرحًا وتعزّي الانسان عمّا يأتيه الاشرار والفرمسون من الاعمال السيئة فانّ ابناء الله ليسوا بافشل في البنيان والعمران من ابناء الظلمات في خراب صرح المجتمع الانساني. فالله نسأل ان يزيد عدد الصالحين فانّهم ملح العالم ولولاهم لانتشر الفساد وعمّ الدمار

ويسرّنا ان نختم هذه الاسطر بنقل فقرات من خطبة للحبر الاعظم بيوس العاشر القاها في نيسان المنصرم في مجمع عام عقده لاستقبال عمدة جمعية مار منصور فقدم

رئيسهم باسم الجمعية لقدامته التهاني بنسبة اليوبيل الحبري (١) فاجاب كبير الاحبار:

« فنحن نحييكم بالسلام يا أبناء شركة القديس منصور دي بول الاعزاء ونشكركم على التعزية التي تقدّمونها لقلبنا ليس فقط بالتهاني التي أمر بها لنا عنا بجانبه يوبيلنا الكهنوتي بل ايضاً بأعمال غيرتكم وغار مبرّاتكم . أجل ان حبّة الخردل التي زرعها فردريك أوزانام سنة ١٨٣٣ صارت شجرة عظيمة باسقة ناشرة اغصانها على العالم بأسره فها قد مضى على شركة القديس منصور دي بول ٧٦ سنة وهي لا تزال زاهية في فرنسا وايطاليا و بلجيكا وهولندة وسويسرة وجهات اميركا الشمالية والجنوبية والكانادا واستراليا حتى في بولونيا الروسية والكنغو البلجيكي وبذلك أصبحت ملجأً لجميع المتلمذين للخير المتجندين لاعمال الرحمة من جميع أمم الارض.

« فنحن نسرّ معكم ايها الابناء الاعزاء بهذا النجاح العجيب الذي نرغب في ان نراه دائماً في شرككم ولذلك اننا نوصيكم بان تكونوا قبل كل شيء رجال المحبة الفاعلة بواسطة الايمان . وفي اعمالكم الخيريّة اسألوا الله ان يرشدكم لانهُ اذا ارتفعت أيديكم كل يوم نحو العلي بواجب الصلاة قبل ان تمدّوها نحو أنواع الشقاء البشري لتخففوها تنالون قوةً وعوناً لتقبلوا بالنفوس الشاردة الى الحقّ سبحانهُ وتعالى . فلتكن حسناتكم لا كحسنات بقيّة الناس بل حسنات رجال مسيحيين ينظرون في الفقير شيئاً مقدساً ليس فقط لانهُ مخلوق على صورة الله بل لكونهِ يمثل شخص المسيح مخلصنا والهنا . . .

« أنتم تزورون وتساعدون يسوع المسيح بشخص الفقراء ثم انكم تصادفون أحياناً في زياراتكم الخيريّة جميع البلايا الطبيعيّة مضافة الى البلايا الادبية وتلقون اناساً تعساء ساقطين في وهدة الكفر والخلاعة مأسورين للخطية غائصين في الفساد والرذيلة وتصارى الكلام أناساً حرموا ذواتهم بنفوسهم من الخيرات الحقيقية الدائمة وأصبحوا بعيدين عن الايمان وعن الكنيسة والاسرار . لكن ثقوا بالله لان ملائكة السلام ترافق خطواتكم نحو هؤلاء التكوديي الحظ الساكين الذين رغماً من شقائهم العظيم وذلهم المفرط يحفظون في قلوبهم ونفوسهم كنوزاً مخفية من بقايا صفات طبيعية نادرة الوجود ومن استعدادات حسنة نحو الفضيلة بل تجدون وسم العماد المقدس حياً في نفوسهم وبقايا الدين والايمان لا تزال متمشة في افئدتهم فيسهل اذن على محبتكم المدلوّة حناناً وصبراً ان ترجو بل ان تتحقق خلاصهم . . . »

« ان الروح الشرّير يلقي في قلوب الكثير من الاشقياء الريبة من الكاهن والبغض لهُ فيعرقل كل مساعيهِ الخيريّة سادّاً في وجههِ بحيل جهنميّة كل الابواب لئلّا يقرب النفوس و يخلصها . اما أبناء القديس منصور دي بول فيتمّمون وظيفة رسل المسيح تحت ثوب العالميين ولذلك يسهل عليهم الدخول في البيوت حيث يمدّون الطرق للكاهن الذي يستطيع الوصول بواسطتهم بدون مانع الى النفوس وهكذا يفعل ابناء القديس منصور دي بول بواسطة زياراتهم للبيوت فيأتون بأيام قلائل في الرعايا المسيحية ما تأتيهِ غيرة الراعي الرسولية من الخير مدة سنين طويلة كيف لا

(١) اطلب مجلة الجهانية ١٩١٠ ص ١٣٣ – ١٢٦

أيها الابناء الاعزاء ونرى ان الله يشاء ان يأتي بواسطتكم أعمالاً عجيبة نظير عماد غير المؤمنين وتثبيت الحديثين في الايمان وزوال التمرّد بالزواج للقدس وهداية المراطقة وارجاع الخطأة الى التوبة والتقدم المتواتر الى سرّي التوبة والقربان الاقدس وبناء الكنائس وتأسيس المدارس المسيحية الخ . فهذه هي ايها الابناء الاعزاء الانتصارات الباهرة التي تأتيها نعمة الله بواسطتكم...

وختم ذلك بالادعية الحارّة لنموّ الجمعية واتراك عليها وعلى كل مؤازريها اوفر بركات ابي المواهب التي نستمدّها نحن ايضاً من صميم القلب لكل عملة الخير وبالخصوص لكلّ من نشروا في بلادنا لواء المحبة للقريب تحت شفاعة مار منصور طالبين من الله الرحمة أن يثيب المتوفين منهم ثواب الرب الكريم الذي لم يترك دون جزاء فلس الارملة وقدح الماء البارد المعطى باسمه وان يفيض اسبغ نعمه على القائمين بمدهم بهذا المشروع الجليل ولاسيما الذين ترأسوا سابقاً الشركة البيروتية مع جناب رئيسهم الحالي الفضال القانوني البارع انطون بك شحيبر كي تزداد الجمعيّة في ايامه عدداً وفضلاً امين اللهمّ امين

---

## سفينة بطرس

بقلم حضرة الخوري رافائيل البستاني بمدرسة الحكمة

دَعْ ذكرَ أطلالٍ أبتْ تتكلَّمُ ... واتركْ حداةً بالجمالِ ترنّموا

وذرِ العقيقَ وحَومَلاً والرُّقمتَيْنِ ... لجانبٍ يَبدو باللّوى يتنعّمُ

واهجرْ سُعادَ وعبلةَ وعُنيزةً ... إنّا لفي عصرٍ يجلُّ ويكرمُ

فاسبكْ لنا بكرَ القوافي مُنشداً ... فَصْلَ الخطابِ فقدرُ شعرِكَ يَعظُمُ

وأسرد مواعيدَ المسيحِ لبطرسٍ ... بعد السؤالِ كمن أتى يستفهمُ

سمعانُ يا سمعانُ قُلْ لي معلناً ... أتحبّني ؟ ... فأجاب أنّكَ تعلمُ

فأجابهُ : انت الصفاةُ وفوقها ... أبني أساسَ كنيسةٍ لا تُهدَمُ

واليكَ ألقي بالمقالدِ واعداً ... أبداً فلن تَقوى عليكَ جهنّمُ

ما قد حللتَ أحلّهُ وربطتَهُ ... أنا رابطٌ او ما تُحرِّمُ يُحرَّمُ

إحرس خرافي واحتفظ بحظيرتي   فمصا رعايتها اليك أُسلِّمُ
انا معكمُ للمنتهى لا تجزعوا   فثقوا بوعدي وَاثبتوا لا تسأموا
فاذا أُضطهدتم فافرحوا وتهلّلوا   فلكم بدار الخلد اجرٌ اعظمُ . . .
عبثًا يريش بنو الظلام نبالهم   فتجرهم منها النصالُ تحطّمُ
كم غارةٍ شعواء شنُّوا فانثنوا   وقلوبهم من خيبة تتحدَّمُ
نسجوا على نول النفاق جلاببًا   للدين منها اللونُ اسودُ أسحمُ
حبطت مساعيهم وبان خداعهم   والافكُ شفّافٌ لدى مَن يفهمُ
فتستّروا كوطاوطٍ خوف الضيا   والبومُ يزعجهُ الشعاعُ ويؤلمُ
قد حاولوا محو الشرائع قصد أن   يخلو لهم جوٌّ وتكسَرُ ألجمُ
أنّ الشكيمةَ جامحٌ متمرّدٌ   والشرعُ يمقتهُ الزنيمُ المجرمُ
واللصُ يبغي لو تُبادُ عدالةٌ   والنور في اجفانِ أرمدَ يضرمُ
والطهرُ في كبد الفاسد حربةٌ   والشهدُ في مُعتلٍّ ذوقٍ علقمُ
قالوا : العدوُّ كتيبةٌ فتحالفوا   يا قومنا وتكاتفوا وتنظَّموا
لا تدّخروا كذبًا ولا غدرًا ولا   لؤمًا ولا عِرضًا ولا . . . لا تَرحموا
وخذوا الوسائلَ في فساد شبيبةٍ   دكّوا البناء من الأساسات اهدموا
غشّت ضغائنُهم على ابصارهم   فدجا النهارُ وجنَّ ليلٌ مظلمُ
بهم الأذيّةُ فطرةٌ كقتاقذٍ   كيف انثنوا نشبوا رياشًا تكلمُ
لا يذكرون سوى عيوب لفقت   انَّ الذباب على القروح يحومُ
ان شاهدوا قسًّا نقلينًا ثوبُهُ   صرخوا: اصلبوهُ ويلهُ يتنعّمُ
وإذا رأوا متقشفًا مترهّدًا   قالوا: ضنينٌ يشتريهِ الدرهمُ
أو أبصروا رسل السلام بمعزلٍ   بهم المساوئَ والفسادَ توهَّموا
او عاينوا متنحيًا مستأسرًا   بكتابهِ قالوا : امروءٌ متعظِّمُ
زعموا : رجالُ الدين قومُ سياسةٍ   فقضوا عليهم بالسكوت وألزموا
قالوا لهم: صوموا وصلُّوا واسجدوا   ولنا اخضعوا وعلى ارادتنا أختموا
لا تبرحوا بابَ المعابد واصمتوا   صمتًا أنتم اذا أتينا نُلهمُ
ناجوا الالهَ وسبّحوهُ بسرّكم   وحذارِ ثم حذارِ أن تتكلَّموا

لا تنظروا لا تسمعوا لا تنطقوا  لا تغضبوا إن شئتمُ أن تسلموا . . .
واذا رنا شزرًا اليهم دَهْرُهم  هُرِعوا الى أبوابهم واستَرْحموا
ملأُوا الفضاء تشدُّقًا ببوادِئ  ولهم تُغيِّرُ كلّ آنٍ أنغُمُ
ما كان منذ الامس أبيضَ ناصعًا  أضحى عليهِ اليومَ ثوب اقتمُ
فَلْتتركِ الحِرباءُ تَبدل لونَها  وشباطُ يُقشِعُ تارةً ويُغيِّمُ
كم من صبيٍّ لا يُجيد قراءةً  قد هبَّ في اسمى المعارفِ يحكمُ
فقد ادَّعوا فهمًا وعلمًا باهرًا  فأصِخ تجدْهم ببَّغاء تُتَمْتِمُ
تخذوا المنابر والجرائد ساعدًا  ومُساعِدًا في ما القلوبَ يُسمِّمُ
يدوي بارجاء النوادي منهمُ  كفرٌ واقوالُ الخنى وتَهكُّمُ
تنغلو الحجارة لو أردنا كلَّما  فتروا شُدوقًا بالحجارة نلقمُ
فجوابنا حفظ السكوت ترفُّعًا  عن أن ينازلنا الغبيُّ الطِّلْسِمُ
أيرومُ آلُ الغيِّ دكَّ كنيسةٍ  وأساسُها في جلمدٍ لا يُثلَمُ
مضت السنونَ مع القرونِ ولم تزل  في صلد صخرتها القرونُ تُحطَّمُ
ألفانِ بل آلافُ اعوامٍ خلت  وبنو الهوى شحناؤهم تتضرَّمُ
كم حملةٍ حملوا فعادوا نُكَّسًا  والقلبُ مكلومٌ وعينٌ تسجمُ
هذي سفينةُ بطرسٍ ما راعها  إعصارُ عصرٍ اوخِضَمٌّ خِضْرِمُ
كفُّ الالهِ تقودُها وتُديرها  أيهولُها بحرٌ يعجُّ ويلطمُ
تدري وتعلمُ مُقبلًا من مُدبرٍ  فمن الغداة الأمس قام يُترجمُ
لا يدَّعِ في ما علمًا وينالُها .  فذوات آثارٍ تُهزُّ وتُرجَمُ
واذا تكاتفت الخصومُ لحربها  فلأنَّ مُلكَ جهنَّم لا يُقسَمُ
والذئبُ لا يسطو على أمثالهِ  أبدًا ولا لسعَ الافاعي أرقمُ
ومن الامور المُضحكاتِ المُبكيا  تِ ضجيجُ فتيانٍ بما لم يعلموا
رفعوا عقيرتهم وصاحوا بالورى  قوموا وهبُّوا استيقظوا يا قومُ
جاءتكمُ الحريّةُ الغرّاء في  ايام نورٍ فامرحوا وتنعّموا
ما الحِلُّ والتحريم غير خرافةٍ  فبدارِ متى المنكراتِ تسنَّموا
تكمُ الكنائسُ والقلانسُ والتقا  نس والذخائرُ والجواهرُ مَغْنمُ

حرّيةٌ حرّيةٌ يا قومنا … فمن الحرمِ أن يُقالَ مُحرَّمُ
إنّا لفي عصرٍ جديدٍ يقتضي … ديناً جديداً للخلاعة يَبسِمُ
لا نهيَ فيهِ ولا أوامر آمرٍ … أعمى أصمُّ أشلُّ أيدٍ أبكمُ
كفّوا أكفَّ قديمكم يا آلهُ … كيما الى شهواتنا نستسلمُ
ما عيشنا وزواهُ فينا صارخاً: … إن تمتطوا نهج العاصي تأثموا
ذكّروهُ من أسٍّ لهُ وبهِ أدفنوا … ارباءهُ والنارَ فيهِ أضرموا
فلقد أقام لنا حواجز تيهِهِ … وغدت مبادئهُ تصدُّ وتلجمُ
هذا هو السببُ الذي من اجلهِ … وثب الطلاحُ على الصلاحِ يُدمّيمُ
وَصَمُوا الديانةَ مُدّعين بأنّها … حجرٌ بهِ عثرَ الحِجى وتقدُّمُ
يا صبية الامس أخفضوا اصواتكم … كذبت ظنونكم وساءَ توهُّمُ
فالدينُ ركنُ تقدُّمٍ وتمدُّنٍ … ولهُ بنشر العلم فضلٌ أقدمُ
رقّى الشعوب ولم يزل برقاتها … خصمُ التقهقر يحذُّ من يتقدّمُ
عاشت مُساواةٌ وعاش إخاؤنا … حُرّيّةٌ تبني ولا تتهدّمُ
تُخلي لها طيَّ الشغافِ منازلا … فالدينُ يأمرنا بذاك ويرسمُ
أجهلتمُ تعليم مَن هو قائلٌ … « فكبيركم مَنْ قام فيكم يخدمُ »
« أطنُّ قيصر ما لقيصرَ عندكم … واللهَ ما لله » أوفرا تغنموا
حرّيةٌ وإخا مساواةٌ وما … فاهي زرعنا غرسها ونُقوّمُ
أرواحنا وجسومنا عنها فدى … لا تزعموا سوءاً بنا لا تزعموا
نحن الحصونُ لها ونحن جنودُها … وحماتها وكماتها لا أنتمُ
كنّا ولم نبرح نجاهر في الملا … هذي الثلاثُ الى التقدُّمِ سُلَّمُ
قدّكمُ هذارٌ واتركوا ذرَّ الرما … دِ لغاية سفلت وقصدٍ يلزمُ
فالدينُ أرفعُ من تناظر فتيةٍ … عَمِهوا قلوباً من محاسنهِ عمّوا
أو ما يرون رجالهُ فلكم أتوا … عملاً بهِ كلُّ البسيطة تنعمُ
كم عادَ حقٌّ ضائعٌ بجهادهم … او راق معتكرٌ وأخمد مجذمُ
غلّوا يد الطاغي بجرأتهم كما … فتحوا ذراعيهم لمن يتظلّمُ
غوثُ الضعيف وغيث من هو بائسٌ … هولُ البغاة وأمُّ من يتيتّمُ

ونصيرُ ملهوفٍ وكوكبُ تائهٍ　　ولكلِّ مكلوم الحشاشة بَلسمُ
قد طوَّقوا جيد الانام مكارماً　　فسَلوا تواريخ التمدُّن تُفصحوا
علمٌ . واعمالٌ . تُقىً . فضلٌ . هُدى　　عَنهم . لهم . فيهم . اليهم . مِنهمُ
ما راعهم قطٌّ البحارُ الزاخرا　　تُ ولا القفارُ ولا النَّوى واللهذمُ
يَتسابقون الى الصلاحِ كأنما　　في بذل انفسهم يَلَذُّ المطعَمُ
زَرعوا الحقائقَ في البلاد فأينعت　　اذ قام من شهدائهم يروي الدمُ
ما غاب عن أفقِ الكتيبة نجمةٌ　　الّا تألّقَ في عُلاها أنجمُ
كلّا ولا أخلى العرينَ غضنفرٌ　　إلّا انبرى يَحمي حماها ضيغمُ
ستظلّ ثابتةً الى يوم القضا　　وشبابُها متجدّدٌ لا يَهرَمُ
أبشر اذن يا مَن يسوءك قولها:　　« لا ترنو لا تسرق فربّك يَنقمُ »
تَبكي وتضحك من بِتَغَرُّر صبيةٍ　　زعموا بها حَلَّ القضاءُ المبرَمُ
هذي السفينةُ ربُّها رُبّانها　　تُردي بامواجٍ تَهيجُ وتهجمُ
لم يجهلوا فضلًا لها فتجاهلوا　　« فالفضلُ مثل المسكِ لا يتكتَّمُ »
ساروا على سُبل الضلال تَعمُّدًا　　« فالحقّ مثل الصبح لا يتلثَّمُ »
قد انكروا حسناتها لمقاصدٍ　　والله ادرى بالقلوب واعلمُ
ربّي أزحْ عنهم دياجير الغوى　　وبحمد برّك كل شيءٍ يُختمُ

# الرشيد والبرامكة

روايةٌ تاريخيّة شعرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون ربّاط اليسوعي (تابع)

## الفصل الخامس

البكاء والنقم

خرائب دور البرامكة . على جنب كومة من الحجارة

### المشهد الاول

سكوت وظلمة . يمرّ بعض الشخصين كالمأمون وغيره ينظرون الى الخرائب ثم جوق من المرتّلين يلبسون الحِداد وينشدون الرثاء على لحن «المَوالي» (١ وينوحون على البرامكة

يا دارُ اين ملوكُ الارض اين الفُرسْ   اين الذين حموها بالقنا والتُرسْ
قالت تراهم رِمَمٌ تحتَ الاراضي الدُرسْ   وغراب البين اتى ورفرف حواليا (٢
(سكوت)

ياسر . ومسرور

ياسر  ولِمَ اتيتَ بي الى خرائب البرامكة في هذا الليل المدلهمّ ؟

مسرور  إن الفضل بن الربيع لا يزال منذ تقلّد الوزارة (٣ حريصاً على قتل اصحاب البرامكة

ياسر  تبًّا له من حسود ماكر لا يطيب له عيش الّا اذا سفك الدماء ويتَّم الاطفال وخرّب البلاد

---

١) قيل إن اول من انشد هذا الغناء بعض اتباع البرامكة بعد نكبتهم فكانوا ينوحون عليهم ويكثرون من قولهم « يا موالي » وبالجمع « يا مواليا » فصار يعرف بهذا الاسم

٢) «المواليا» لاحدى جواري البرامكة ترثيهم

٣) استوزره الرشيد بعد الايقاع بالبرامكة

مسرور: فقد أعلِم أن قوماً يأتون ليلاً الى هذه الاطلال الشاخصة من دور البرامكة يُنشدون شعراً وينوحون على مواليهم واسيادهم فعظم عليهِ الخطب واعلم بهِ الرشيد فأمراني ان اتي وايّاك نستتر بين الجدران فاذا جاءوا قبضنا عليهم (١

ياسر: ألم يكتفِ الرشيد بما صنع باغراء وزيرهِ هذا اللئيم. لقد قبض على البرامكة واستباح اموالهم وقتل منهم ومن حاشيتهم ومواليهم نحواً من الف نفس ومثّل فيهم وشنّع ومَن بقي سالماً لا يقدر على كسرة خبز (٢

مسرور: او هل بقي احد منهم؟ لقد افناهم عن آخرهم

ياسر: بقي عبادة امُّ جعفر ظئر الرشيد نراها في ثياب رثّة تطوف الازقّـة تسأل شيئاً تقتات بهِ. وقد سمعتُها في يوم اضحى تطلب من السارّين جلد شاة تجعلهُ لها دثاراً وقد كنتُ رأيتها في مثل هذا اليوم وفي خدمتها الريحانة وصيفة في الخزّ والديباج. هذا مما يفتّت الأكباد و يصدع الجلاميد (٣. وقد بقي خلا عبادة ابن لجعفر

مسرور: ابن لجعفر؟ ألم تذبح ولديهِ سويّةً مع العباسة بينما كنتُ اقتلُ جعفراً من قيد الحمار الذي قيدته بهِ واجزه خارجاً لأحزّ راسه (٤

ياسر: دعني دعني فقد أثرت فيّ خيالات طالما جهدت ان امحيها من فكري فلا تزال تتراءى لي كأني صنعتُ الساعة ما صنعت. هنا هنا تمّ الامر

مسرور: وكيف كان ذلك؟

ياسر: لما اخذت الحسن والحسين تقدّم اليّ جعفر...

مسرور: ابن العلوي الذي تبنّاه البرامكة؟

ياسر: هو. فسألني أن ادعَ احدهما ينجو واقتلهُ عوضاً عنهُ واعطاني هـذا الخاتم جزاءً فرضيتُ

---

١) هذه القصّة نقلها المؤرخون جميعهم

٢) الاتليدي (١٧٤) والمسعودي (٦: ٤٠٨)

٣) المسعودي (٦: ٤٠٦) والاربلي (١١٠) والاتليدي (١٨٠)

٤) الطبري (٦٧٨) والاربلي (١٠٦)

مسرور وبعد ؟

ياسر فذبحتهُ مع الحسين . ثم احضر الرشيد عشرة من الفعلة اجلاداً ودعا العباسة اخته فحزَّ رأس ابنها في حضنها وهي تنوح وتعول واستلَّ خنجراً فطعنها . ثم جلس على كرسي وامرنا فوضعناها بحلاها وثيابها في صندوق وحفرنا هنا حفرةً فدلّينا الام والولدين ورددنا التراب (١

مسرور يا لها من قساوة بربريّة !

ياسر وزبيدة تنظر من خلال المقصورة فرحةً لما كان بينها وبين جعفر من العداوة (٢

مسرور وكيف لم يُنشر الخبر بواسطة الفعلة ؟

ياسر لان الرشيد امر بهم فخُيِّطوا في جواليق وثقلوا بالصخر والحصى وزُجوا في وسط دجلة (٣

مسرور يا لله من هذا الامر الفظيع ! كيف وصلتَ يا ناقص القدر الى هذه الدناءة !

ياسر لا يحسن بك السب يا قاتل جعفر وانت سبب تكدير عيشي . انت بجكوك سهلتَ عليَّ ركوب الكبائر . انت علّمتني الغدر . انت يا عبد السوء اغريتني على الانقياد للنضل ذلك الخائن المكّار فكفرتُ بنعم قوم اشراف واختلقت عليهم الاكاذيب فنجح مسعاك ومسعى شيطانك ابن الربيع وتركتني ذليلاً حقيراً يخزني الضمير بمهازه ويشدّ عليَّ بنخسه ووازه

مسرور اكفف عن الشطط لسانك والّا قتلتك

ياسر فلتبكِ على عقلك البواكي يا عبد ونصف رُجيل اراك ستلقى هواناً . ويحك ان قدّمت رجلاً او تجرّأت على كلمة سوء قبضتُ عليك واتيت بك مقيّداً امام الرشيد فاعلمته بما حولت وابن الربيع عليه من اذلال الدولة العباسيّة وتسهيل الامر في الاندلس لبني امية . اتريد ؟

ياسر صهْ . وقعُ اقدام

مسرور امير المؤمنين ! وما اتى به الآن الى هذا المكان ؟

---

١) الاتليدي (١٠٧) اطلب ايضاً المؤرخين في وصف مقتل علية اخت الرشيد
٢) المسعودي (٦: ٣٢٧) ٣) الاتليدي (١٠٧)

## المشهد الثاني

الرشيد . الفضل . الاصمعي . اسحق . ياسر . مسرور

الرشيد لم يأتِ احدٌ بعد؟

مسرور لا يا سيّدي

الرشيد اذهبا ( يتنحّى مسرور وياسر الى آخر المرسح )

الفضل ما هذا الارق الدائم . فانك لا تنام الليل (١

الرشيد لا ازال ضجراً حزيناً مغموماً

اسحق كيف يكون على قلبك ضجر او غمٌ وقد خلق الله اشياء كثيرة تزيلها وانت قادر عليها

الفضل هلمَّ بنا من هذه الاماكن المخيفة نطلع فوق سطح قصرك ننظر الى النجوم واشباكها وتلألئها وعلى القمر وحسن طلعتهِ فقد آن وقت ظهوره

الرشيد لا تلتفت نفسي الى شيءٍ من ذلك

اسحق سِرْ بنا الى الحديقة نتفرَّج بين الاشجار ونتنشَّم روائح الازهار ونسمع تغريد الاطيار

الرشيد لا يلذُّني شيءٌ من هذا

اسحق اركب سفينتك على دجلة فترى المراكب المتسلسلة على الماء وتسمع حدو الملّاحين او فانزل الى الاصطبل فانظر الى الخيل العربيات وحسن الوانها ما بين ادهم كالليل اذا اظلم واشهب وكميت . . .

الرشيد ما تهمُّ نفسي الى شيءٍ من هذا . دعني انظر الى آثار منازل البرامكة عسى الله يفرّج عني حزني . ما هذه الابيات ؟

اسحق كُتبتْ بفحمة على الجدار المتهدم (٢

الرشيد ( يقرأ ) :

يا منزلًا لعب الزمان باهلهِ فأبادهم بتفرّقٍ لا مُجمعُ

---

١) تجد في كثير من المؤرخين والرواة وصف ارق الرشيد

٢) الاتليدي (١٨٠)

إنَّ الذين عهدتهم في ما مضى ... كان الزمانُ بهم يضرُّ وينفعُ
اصبحتَ تنزعُ من رآك وطالما ... كنّا اليك من المخاوف نفزعُ
ذهب الذين يعاشُ في أكنافهم ... وبقي الذين حياتهم لا تنفعُ

الفضل: ايقدم الناس على مدح البرامكة؟ لأمتحننَّ بن كتبها واقطعنَّ

الرشيد: دع عنك. صدق والله قائلها. مات يحيي وجعفر ومات الجود والكرم. لو كانا في الحياة لفرّجت عنهما

الفضل: ألا تزال تذكر اعداءك وتردّد هذه الافكار السيئة

الرشيد: صهْ لا امّ لك. اتحفظ يا اصمعي شعر الزبير بن دحمان؟

الاصمعي: نعم

الرشيد: أعدْهُ عليّ (يجلس على حجر)

الاصمعي:
من للخصوم اذا جدّ الخصام بهم ... يومَ النزال ومن للضُّمَّر القودِ
وموقفٍ قد كفيتُ الناطقين بهِ ... في مجمع من نواصي الناس مشهودِ
فرّجتهُ بلسانٍ غير ملتبسٍ ... عند الحفاظ وقول غير مردودِ

الرشيد: ويحك. كأنّ الشاعر يصف يحيي وجعفرًا (١

اسحق: ما رأيتُ لك سرورًا منذ قتلتَ البرامكة. فلأي شيءٍ قتلتهم؟

الرشيد: لو علمتُ ان قميصي يعرف السبب الذي قتلتهم بهِ لاحرقتهُ (٢

الفضل: قومٌ كفرة انزلتَ عليهم عقوبتك

الرشيد:
أقلّوا عليهم لا ابا لابيكم ... من اللوم او سدّوا المكان الذي سدّوا
حملونا على فصحائنا وكفاتنا وأوهمونا أنهم يقومون مقامهم فلمّا صرنا الى ما ارادوا لم يغنوا عنهم (٣

---

١) اخبر صاحب الاغاني (١٧ : ٧٤) قال: كان الرشيد بعد قتلهِ البرامكة شديد الاسف عليهم والتندّم على ما فعلهُ بهم فقطن لذلك الزبير بن دحمان وكان يتشبّه فتغنّاه يومًا: «من للخصوم» فقال لهُ الرشيد: اعد فاعاد. فقال لهُ: ويحك كأنّ قائل هذا الشعر يصف بهِ يحيي بن خالد وجعفر ابن يحيي. وبكى ووصل الزبير صلة سنيّة

٢) ابن بدرون (٢٢٥ و ٢٢٦) والاربلي (١٠٦) نقلًا عن الصولي والميلاوي (٤٣) وابن خلكان (١٢٤).

٣) الميلاوي (٤٣)

الفضل: انك يا امير المؤمنين منذ ابدتهم اصبحت اعظم الخلفاء. لا يتعرّض لك احد في ملكك تقول للسحابة: أمطري حيث شئتِ فان خراج الارض التي تمطرين فيها يجيء الي (١

الرشيد: اني اتعب الخلفاء خاطرًا واعظم الناس همًا وغمًا (٢

الفضل: لا موضع للغم وقد ساد السلم والامان في الدولة يوم ابطلتَ كيدهم ومكرهم

الرشيد: ايُّ سلمٍ وايُّ أمنٍ وقد احاطت بنا الاعداء من كل وجه ونقض نقفور العهود ثانيةً (٣ ظنًا ان قد سقطت الدولة بسقوط البرامكة فتحرك الروم واحتشدوا واجمعوا على مبادأتنا بالغزو. اما البلاد فقد ثارت فيها الفتن والبدع وعظمت سلطة بني امية في الاندلس يهزأون بالرشيد ودولته وانت وزيري لم تستطع ان تكسر شوكتهم كما فعل جعفر. وهذا رافع بن الليث قد شقَّ عصا الطاعة فتغلّب على سمرقند وقتل عاملنا وليس من يتجرأ على الخروج لمحاربته سواي (٤ اما ملك الفرنجة فلا ندري ما كانت نتيجة ~~الوفود فان كان قد علم وسولنا عبد الله العلوي حفيد البرامكة بما حدث~~ اثار في صدر زعيم النصارى ثار النعرة على الاخذ بالثار فوقعنا في شرّ بليّة من جميع الاطراف. من لي باحياء البرامكة فيعيدوا المياه الى مجاريها

(سكوت)

هيهات ليس يُردُ امسُ الى الغد — لا امّن الله من اغراني على قتل البرامكة ما رأيتُ رخاء بعدهم ولا وجدت لذةً ولا سلامًا ولا راحة. لوددت لو شوطرتُ عمري وغُرِّمت مالي وملكي وتُركت البرامكة على حالهم (٥ لكن قد قربت منيتي ودنت ساعتي فسيرى بعدي اولياء العهد ما يرون

١) بجاني (٣: ٦٨) نقلًا عن كتاب الاعلام لقطب الدين النهروالي
٢) بجاني (٥: ٣١٧) نقلًا عن النهروالي
٣) الطبري (٦٩٦)
٤) الطبري (٧٠٧) والفخري (٣٦١)
٥) الاربلي (١٠٧)

اسحق — أُعيذك بالله يا امير المؤمنين ان تقول هـذا. اني لارجو ان يبقيك الله لنا مدى الدهر

الرشيد — تنحّوا عنا (يبقى الرشيد واسحق في مقدّمة المرسح)
يا اسحق اني ميتٌ عن قريب فقد اقترب صفر وهو الشهر الذي قتلتُ فيه جعفراً ويحيي فسأموت فيه

اسحق — يا امير المؤمنين جعلنا الله فداءك إني ارى دماً ظاهراً ووجهاً ناصعاً وشباباً زائداً ومنّةً قويّةً وروحاً طيبة فمتّعك الله اكثر مما عمّر من ملوك الارض وفتح لك ما فتح على ذي القرنين ولا ارى رعيّتك فيك سوءا

الرشيد — مل بنا قرب هذا الجدار حتى أُسرّ اليك سرًّا كتمتهُ عن الجميع . امانةٌ في عنقك ألّا تخبر بما أُلقي اليك احدًا

اسحق — يا سيّدي هذه مخاطبة الاخ لاخيه وانا عبد يخاطبني مولاي مثل هذا ؟

الرشيد — هنا على صدري وظهري قروح واريتها بخرق وادوية ومراهم

اسحق — منذ كم هذا ؟

الرشيد — ظهرت يوم قتلتُ جعفراً وذويه

اسحق — يا لله !

الرشيد — ولم أُطلع عليها الّا الفضل بن الربيع ومسروراً ظنًّا بهما خيرًا فاما الفضل فقد اخبر الامين فوالله لئن بقيتُ لاتركنَّهُ يهيم في طلب الخبز حتى يشغلهُ ذلك عن اذاعة السرّ ومسرور قد اعلم المأمون بعلّتي ترلّفا . وما منهم احدٌ إلّا لهُ عينٌ عليّ . فاي حياة تصفو لي وامرُ ولدي يحصي انفاسي ويستحثّ علّتي . ولقد بلغ من تبرّمهم بي وبحياتي أني اذا أردتُ الركوب جاءوني ببرذون قطوف ليزيدوا في علّتي وجروحي فأكرهُ ان أُظهرَ هذا لهم فيستوحشون مني ومتى استوحشوا أظهروا من العداوة ما كان باطنًا والعامّةُ لهم ارجى والخاصّة اميَل وانا كالخائف بينهم أُصبحُ فلا أطمع في المساء وأُمسي فلا اطمع في الصباح (١

(١) الطبري (٧٣١) وابن الاثير (٦ : ٧٤) والاربلي (١٣٢)

اسحق سيداويك جبريل باذن الله

الرشيد هذا جزاء فتكي بالبرامكة فلا ينجع فيَّ دواء

ان الطبيب بطبّهِ ودوائهِ لا يستطيع دفاع محذور القضا
ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يبري مثلهُ فيما مضى (١

اسحق من ارادك بكيد اراهُ اللهُ ذلك الكيد في نفسهِ

الرشيد سمع الله دعاءك. والآن استحلفتك بالله ان تصدقني

اسحق سيدي

الرشيد انظر الى يدي. أترى عليها اثر دم ؟

اسحق لا إنها بيضاء كالثلج

الرشيد لا ازال اغسلها واطيّبها ومع ذلك اراها ملطخة بالدم. انظر. ها اثر الدم

اسحق خيالات واوهام.

الرشيد لا لا. هذا دم يحيي. هذا دم جعفر. هذا دم العباسة . هذا دم الاطفال. هذا دم البرامكة (باضطراب) اين انا ؟ ما هذا التراب المنثور. هنا قتلتُ اختي. هنا قتلتُ الحسن والحسين. هنا قُيد جعفر بقيد البهائم. هنا التي اليَّ برأسهِ يشخب دماً — (يزداد اضطرابهُ) — دعني يا جعفر ما هذا السيف الذي لا تزال تسلّهُ عليَّ الليل والنهار. دعني وحق حبّنا القديم. دعني وحق اخوّتنا. كفرتُ بك. قتلتُ اولادك. سفكت دماءكم ظلماً وجوراً. دعني دعني (يرمي بنفسهِ على كتف اسحق والجميع يحيطون بهِ)

الفضل قد ألمَّ بالرشيد جِنَّة يجب اطلاع الامين عليها

مسرور هذا مسٌّ

الفضل صدقتَ

اسحق صه يا مكّار

الرشيد لا تذرُ عليَّ التراب يا يحيي . أقلني أقلني (يخرج كالهارب من يسار المرسح ويتبعهُ الجميع بسكوت)

---

١) كان الرشيد يردّد هذه الابيات وهو على فراش الموت (المسعودي ٦ : ٣٥٧)

## المشهد الثالث

عبدالله بن يحيى العلوي (يدخل من آخر المرسح بتحفظ)

عبد الله كأني سمعتُ صوتاً. لكن لا ارى احداً بين الخرائب ما هذا الانقلاب. تركتُ منازل البرامكة يوم سرتُ رسولًا الى قارله ملك الفرنج جنّة الدنيا وزهرتها فالفيتها اطلالًا بالية وجدراناً شاخصة ينعق فيها البوم والخنافيش. تركتُ جعفراً يجرّ ثوب العزّ والفخار في المحافل مسوّداً والى الخليفة موفداً فاستقبلت شلوهُ على جسر بغداد جثة شوّهها الموت تحوم عليها الغربان. هنا ودّعت ابي الجليل ولم ارو منهُ الغليل وقبّلتُ اخي جعفراً ولم ادرِ عندئذٍ أننا شقيقان من صُلب واحد فسرت يحفّ بي الامراء والقوّاد. اما الآن فعدت سرّاً والرشيد بثّ العيون على أثري واهدر دمي ولا اعلم هل ابي واخي في الحياة وبينما كنتُ اقطع القفار والبحار واكابد الاتعاب والاخطار توطيداً لملك الرشيد ورغبةً في عقد رباط المودّة بينهُ و بين زعيم الفرنجة كان الرشيد يسبي ويذبح ويقتل ويمثّل (يجلس)

يا أيها المغترّ بالدهر والدهرُ ذو صُرفٍ وذو غدرِ
لا تأمن الدهر وصولتهُ وكن من الدهر على حذرِ
ان كنت ذا جهلٍ بعترتهِ فانظر الى المصلوب بالجسرِ
كان الوزيرُ القائم المرتضى وذا النهى والفضل والذكرِ
وكانت الدنيا بأقطارها اليهِ في البرّ وفي البحرِ
بينا كان جعفرٌ في ملكهِ عشيةَ الجمعة بالقصرِ

---

١) اخذنا هذا المشهد عن رؤيا الرشيد وهو ذاهب الى طوس. اطلب الطبري (٣: ٧٢٥) الخ وغيره وقابل مع المسعودي (٦: ٢٢٠ و٢٥٦). قال صاحب الاغاني (١٧: ٤٤): رأى الرشيد في نومهِ كأن امرأة وقفت عليهِ واخذت كفّ تراب ثم قالت لهُ: هذه تربتك عن قريب. فاصبح فزعاً وقصّ رؤياه. فقال لهُ اصحابهُ: وما هذا؟ قد يرى الناس اكثر ممّا رايت واغلظ ثم لا يضرّ. فركب وقال: اني لارى الامر قد قرب. فبينما هو يسير اذ رأى امرأة واقفة من وراء شبّاك حديد تنظر اليهِ فقال. هذه والله المرأة التي رأيتها. ثم امرها ان تاخذ كف تراب فتدفعهُ اليهِ ففعلت. فبكى وقال: هذه والله التربة التي أُريتها.

اذ عثر الدهرُ بهِ عثرةً     يا ويلنا من عثرة الدهرِ
وزلّت النعل بهِ زلّةً     كانت لهُ قاصمة الظهرِ
فغودرَ البائسُ في ليلةٍ     السبت قتيلًا مطلع الفجرِ
وجيء بالشيخ واولادهِ     يحيى معًا في الغل والاسرِ
والبرمكيين واتباعهم     من كان في الآفاق والمصرِ
كانما كانوا على موعدٍ     كموعد الناس الى الحشرِ
واصبحوا للناس احدوثة     سبحان ذي السلطان والامرِ (١

(يقوم) كم من مرّة — وقد أنبأني جبريل في غربتي بما حدث — كم من مرّة هاجت في ثورة الغضب فرأيتُ عدلًا أنْ أحمل الشرّ بجماله وأجزّيهُ بمثلهِ فأطلع سلطان الفرنجة على حقيقة الحال وأسأله ان يغضب لمن هريق دمهم البري جورًا ويأخذ بناصر المظلومين. لكن النخوة العربيةُ وما تعلّمتهُ في منازل البرامكة من شرف النفس وحفظ المواثيق وقهر الاهواء في سبيل الوطن ردعني عن هذا القصد

يكاد القلب من جزعٍ يطيرُ     اذا ما قيل قد قُتل الوزيرُ
امير المؤمنين قتلتَ شخصًا     عليهِ رحاكمُ كانت تدورُ
فمهلًا يا بني العبّاس مهلًا     لقد كُويتْ بغدركمُ الصدورُ (٢

ولم يبقَ لي الآنَ الّا النوح والبكاء على من تجرّعوا كأس المنون على حين لم استطع أن اضمد كلومهم الدامية واقبّل عيونهم الفاترة. فاستطلع الاخبار عن ابي واخي ثم اسير الى الرشيد فاعلمهُ بنجاح الرسالة واسلّمهُ التحف والهدايا وأسأله جزاء اتعابي ان يعجل بقتلي فالحق بن أكرمهم وأحبّهم

الآنَ استرحنا واستراحت ركابُنا     وامسك من يُجدي ومن كان يجتدي
فقل للمطايا قد امنتِ من السرى     وطيِّ الفيافي فدفدًا بعد فدفدِ
وقل للمنايا قد ظفرتِ بجعفرٍ     ولن تظفري من بعدهِ بمسوّدِ

١) المسعودي (٦ : ٤٠٠) القصيدة لعلي بن معاذ
٢) هذه الابيات قالها احد الشعراء يوم قتل المتوكل وزيرهُ محمّد بن عبد الملك الزيات. اطلب الفخري (٣٠٢)

وقل للعطايا بعد فضلٍ تعطّلي وقل للرزايا كل يوم تجدّدي
ودونك سيفاً برمكيًا مهنّداً أُصيب بسيفٍ هاشميّ مهنّدِ(١
( يقول عبد الله هذه الابيات بحزن سائرًا بتتابع الى الوراء ويغيب عن الابصار )

## المشهد الرابع

العلوي . الحسن ( يدخلان من مقدّمة المرسح يمناً . والعلوي مستند على ذراع الحسن )

الحسن تقدّم يا ابتِ . لا ارى احداً ( يضع بساطاً وكرسيًا من حديد يجلس عليه العلوي )

العلوي ولما رأيت السيف جندل جعفرًا ونادى منادٍ للخليفة في يحيى
بكيتُ على الدنيا وايقنت انَّما قصارى الفتى يوماً مفارقة الدنيا
لأيكم ابكي أَلِلفضل ذي الندى ام الشيخ يحيى او لمحبوبنا موسى
ام الملك المصلوب من بعد عزة أمْ أبكي بكاء المولات على الثكلى
تكلّكمُ ابكي بعينٍ غزيرةٍ وقلبٍ قريحٍ لا يموت ولا يحيى
لئن زال غصن الملك عن آل برمكٍ فما زال حتى اثمر الغصنُ واستعلى
بني برمك كنتم نجوماً مضيئة بها يهتدي في ظلمة الليل من اسرى(٢

الحسن أبيْ لئن اصبحتَ للناس آية لقد بلغت الغاية ولئن زال ملكك وخانك دهرك فلقد كنت في المحافل شريفاً وعلى الارامل والايتام عطوفاً وباهل الضيم والفاقة لطيفاً فعشت حميدًا مودودًا ومت مظلوماً مفقودًا

أُصِبتُ بسادة كانوا عيونًا بهم نسقى اذا انقطع الغمامُ
فقلتُ وفي الفؤادِ ضريمُ نار وللعبرات من عيني انسجامُ
على المعروف والدنيا جميعًا ودولة آل برمكٍ السلامُ
فلم أرَ قبل قتلك يا ابن يحيى حسامًا فلّهُ السيفُ الحسامُ

١) الشعر للرقاشي وقيل لابي نواس وقيل لاشجع (المسعودي ٦ : ٤٠٢) وابن الاثير (٦ : ٦٤) والطبري (٦٨٥) ابو الفداء (٢ : ١٨)

٢) المحاسن والمساوئ للبيهقي (١٢٢) وابن عبد ربّه (٣ : ٢٢) والاربلي (١١٠) ابن خلكان (١٣٧) والتنوخي في كتاب الفرج بعد الشدّة (٢ : ٢١) والبلاوي (٣٥)

أألهو بعدكم واقرّ عيناً عليَّ اللهوُ بعدكمُ حرامُ
وكيف يطيبُ لي عيشٌ وانتم رفات داسهُ القوم اللئامُ
وجعفرُ ثاوياً بالجسر أبلت محاسنهُ السمائمُ والقتامُ
اما والله لولا خوفُ واشٍ وعينٌ للخليفة لا تنامُ
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلامُ (١

العلوي كفَّ عن البكاء بنيَّ
الحسن دعني أنحْ على اهلي وذويَّ ( غناء ونوح ) (٢
العلوي لم يبق لي الان ألَّا ان انظر الى عبدالله اخر نظرة وأضمّهُ الى صدري فقد أنفثتُ بقرب مودتهِ ثم اذهب الى الرشيد طالباً اليهِ ان يذبحني فيجمعني بابني جعفر وبالبرامكة خلاني واسيادي
الحسن وانا ارافقك فقد سئمتُ الحياة بعد فقد اهلي

## المشهد الخامس

العلوي . الحسن . عبدالله ( وقد عاد عند سماع النوح )

عبدالله ابتِ انت هنا ؟
العلويّ من الرجل ؟
عبدالله عبد الله ابرٰهيم ابنك ( يتعانقان )
العلويّ دعني اموتِ الآن فقد رأيتُ وجهك
عبدالله واين جعفر ؟
العلوي هنا تحت هذا التراب المنثور
الحسن وقمة في ظلال الجنّة ( سكوت )
عبدالله قتلهُ الرشيد !

١) ترجمة الجليس ( ٣ : ٣٢٤ ) والطبري ( ٦٨٧ ) ابن عبد ربه ( ٣ : ٢٣ ) وابن خلكان ( ١٢٦ ) والقصيدة لسليمان بن برمك وقيل للرقاشي وقيل لاشجع وعزاها ابن الرشيق في كتاب العمدة ( ص ٢٢ ) لابي قابوس الشاعر النصراني يشفع ابن بني من البرامكة عند الرشيد . وزاد قائلًا : فانظر الى تجاسره على مثل هذا الامر العظيم من الشفاعة والرثاء .
٢) خذ ما شئت من مراثي الخنساء وغيرها من الالحان المحزنة

**الحسن** مات عوضاً مني ليخلّصني . واسفاه!

**عبدالله** لله درُّك يا اخي من كوكب باهر ونجم زاهر أفَلَ قبل اوانهِ وغار في التراب وكانت القلوب افلاك بيانهِ . تموت ولم تتجاوز الثامنة من عمرك . غصن امارد قصفتهُ الرياح وزهرة رائعة مزّقتها يد الظالمين ( غناء محزن )

**الحسن** كفّا عن النوح فأنا انا جديرٌ بالبكاء والنحيب فقد داهمتني الاحزان من كل جانب ورمتني سهام المنيَّة فصدعت مني الفؤاد وكسرت الاعضاء . وفتّت الاكباد . هنا اخوتي وامي واهلي اضحت عظامهم تحت اطباق الثرى رفاتاً . وهناك جثة ابي تتناشها العقبان وتحدق بها النسور . هنا ألقي برأس ابي في ترس وبدنهُ في نطع والرشيد ينظر اليهِ وهناك مات البرامكة كسرت عظامهم الاعمدة وحطمت جباههم الحجارة

أأبكي على اهلي من لا يزال ذكرهم يهيج احزاني ويُثير اشجاني . او اندب ابنك قرة عينك وعيني ومهجة فؤادك وفؤادي جعفرًا الذي مات عوضاً عني لينجيني من الموت

وان تكُ في قبر فانك في الحشى  وان تكُ طفلًا فالاسى ليس بالطفل
ومثلك لا يُبكى على قدر سنّهِ  ولكن على قدر الفراسة والاصل

لقد خدعتني يا فلذة الاكباد خدعتني يا جعفر أخيَّ الحبيب خدعتني بلطفك وكم سجاياك فخلصتُ لكني كنت سبب موتك وشعلةً اوقدت الاحزان في قلب ذويك . مَن لي بالموت فأعوّض عمّا فرط . اغفر لي يا جدّ وانت يا اخي عبدالله

**العلوي** بُنيَّ كفَّ عن البكاء وليكن الرجاء عزاءك

**عبدالله** فسوف يُلبس الله عظام من فقدناهم مجداً فيقومون يوم العرض مكلّلين بتيجان السعادة

**العلوي** مات جعفر شهيد حبهِ وقياماً بحقوق المعروف فنجّى فرعاً كريماً من البرامكة فانَّ شهامتهُ عزائي اذ كنتُ انا علّة حقد الرشيد على اهلك ووسيلة اتَّخذها الوشاة فأوقعوا بقوم كرام ذوي دين صادق وشيم عالية . فانت يا ابن البرمكي انت احرى بالثناء وانا احق بطلب العفو

الحسن غفر الله لنا جميعاً
عبد الله كأني اسمع صوتاً
العلوي لم نرَ قط في هذه الخرابات سوى جبريل يأتينا بما نقتات به ولولاهُ لمتنا جوعاً
الحسن هو جبريل
عبد الله ومن ذا الذي معهُ ؟

## المشهد السادس

العلوي . عبد الله . الحسن . المامون . جبريل

(في اثناء المشهد الخامس والسادس يمرّ الرشيد واصحابهُ في اقاصي المرسح مختبئون تارةً وتارةً يظهرون)

المامون اخي الحسن ألا تعرفني ؟
عبدالله ابن الرشيد هنا !
العلوي (لجبريل) هكذا أطلعتَ القوم على سرّنا
جبريل لا خوف عليكم
المامون اخي الحسن ألا تعرفني ؟ أنسيت ما تعاهدنا عليهِ من الاخاء مدى العمر ؟
الحسن عرفتُ عبدالله المامون مَن كنتُ أُحبُّهُ كأخ . لكنني ابغض ابن الرشيد
المامون سألتك بالله ان تقيلني
الحسن اليك عني فانَّ في القلوب حزازات وسخائم لا تبلى
المامون دعني اصافحك
الحسن لا تمسّني يد ابن الرشيد
المامون ما ذنبي انا وقد متُّ كمدًا !
جبريل اصفحوا فالله يحب الرحمة
المامون كفى ابي وكفاني ما لقينا من العذاب
الحسن ابن قاتل ابي وامي واخوتي ! كلّا كلّا
المامون سألتكم بالله . . .

## المشهد السابع

يدخل بغتةً مسرور وياسر

مسرور — اجيبوا امير المؤمنين

جبريل — مسرور هنا ! يا لله ما العمل ؟

المامون — قف يا عبد السوء

مسرور — المامون مع اعداء الرشيد اعنّي يا ياسر

ياسر — اعينك على موالي !

عبدالله — ( لمسرور ) لا تمدّ الى احد يداً دنسة

مسرور — يا ياسر

عبدالله — ( يستلّ سيفهُ ويتبع مسروراً خارج المرسح ) خذها ضربة قاتلة ( ثم يعود )

ياسر — والآن ها اناذا ايضاً ياسر العبد الخائن فاقتلني يا عبدالله

( يهجم عبدالله على ياسر )

جبريل — قف سألتك بالله ( ضجّة )

## المشهد الثامن

يدخل الرشيد واصحابهُ

الرشيد — اغمد سيفك يا عبدالله

العلوي — الرشيد هنا ؟

الحسن — قُضي الامر

المامون — يا ابتاه

الرشيد — وانت بُنيَّ هنا !. لا باس. قد سمعتُ كلما قلتموهُ ووعيتهُ

المامون — سألتك بالله ألا تقتلهم

العلوي — دع عنك ذلك يا ابن الرشيد. وانت يا هرون هاك طلبتك قد بلغتَ المنى جرّد ذا الفقار سيف جدّي واغمدهُ في صدر ابن علي ها صدري فاطمني

الحسن — ان بدي بيد يحيى بن عبدالله . هاك يا هرون ابن جعفر البرمكي وابن

العباسة . قتلتَ اباهُ وامَّهُ واخوتهُ وذويهِ جميعاً فلا يحسن بهِ ان يعيش بعدهم . جرّد سيفك وأمِت اطهاراً وألحقهم بمن اهرقت دمهم ظلماً وجوراً

عبدالله: واما أيها الرشيد كنتُ سائراً اليك فاتيتَ اليَّ . قد قمتُ باعباء الرسالة وعدت اليك بما يوطد اركان ملكك فتركتُ تحف سلطـان الفرنجة ورسائلهُ مع الاحمال على باب المدينة واني اشد انجزت ما امرتني بهِ ورتقت الفتوق التي لا يزال يحدثها الفضل بن الربيع هذا الخائن في دولتك واذا اطلعت على الرسائل حصحص لك الحقّ وانكشفت الرغوة عن الصريح فعرفت من الامين ومن المكّار

الفضل: لا تصدّق هذا المقال

الرشيد: (للفضل) صهْ لا امَّ لك

عبدالله: فاتيتُ سراً انوح على اسيادي والثم آثار اقدامهم واقبل ثرى اجداثهم والان اسألك جزاء اتعابي ما اعددتهُ لكفاتك واصفيائك فليس حظي باحسن من حظهم . انتضِ حساماً ضرّجتهُ بدماء آل علي بن ابي طالب وآل برمك هاك دماً زكياً فاسفكهُ . انت اهل لذلك

ياسر: اقتلني . انا سبب كل ما جرى . جنيتُ على البرامكة كذباً باغراء الفضل هذا اللامين . امتني فاني ظالم وليذبحُ البري

المامون: سألتك بالله ان تصفحَ ابتِ والّا فاقتلني معهم فاني والوفا من رعاياك تواصل البكاء ليلًا ونهاراً على فقد البرامكة

الرشيد: كفى . كفى . قد طال اضماري الاسف واظهاري القساوة باغراء من اغواني فعلى البرامكة ابكي وانوح (يبكي) (١

اما سبتُ يا شرَّ السبوت صبيحةً ... ويا صفرُ المشؤومُ ما جئتَ أشأما

أتى السبت بالامر الذي هدَّ ركننا ... وفي صفرٍ جاء البلاء مصمّما (٢

فقد والله لم الق رخاء بعدهم . أضنكتني الامراض . واحاطت بي الاعداء

---

١) الاغاني (١٧ : ٧٤)

٢) الطبري (٦٨٥) والملاوي (٩٥)

وجانبني الاصدقاء . وانذرتني الخوارق والآيات . اذا اضجعتُ على فراشي كأني على وقودٍ ملتهبة ينخزني الضمير بجملاه . واذا سرت تراءت لي اشباح مُدلة عليَّ . لم ينجني منها مواصلةُ الصلاة واستماح الغفران والحج ماشياً (١ . لوددتُ لو شوطرت عمري ولم آتِ بما اتيت (سكوت)

فعليكم يا آل برمك ابكي ولذكراكم احفظ وعلى اياديكم البيضاء أثني وعمّا جنيت من الاثم الفظيع اعضّ البنان ندماً واسفاً . فلو كان يفديكم سفك دمي وبذل روحي لما بخلت بها عليكم يا من كنتم غرّة عصري وتاجاً على مفرق دهري (٢ ومعتصماً الجأ اليه في علني وسري واسوةً اقتفي معالمهم في سيري واخوان صفا الود بهم في عسري ويسري . فليس لي الان الا ان اعلن باسفي وندمي على مسمع من الكبير والصغير (٣ أتعفو عني يا فرعاً كريماً نجاه الله من ظلمي فاصبح الوريث الوحيد لمآثرهم . انا هرون الرشيد اسألك بحق حبك لابيك وحزنك عليه ان تصفح عن ذنبي . ألا تجيب شيئاً ؟

| | |
|---|---|
| المامون | فليكن لنا عفوك عزاء ورجاء يوم الدين |
| الحسن | قاتل ابي واهلي ! |
| جبريل | اذكر شيمَ ابيك وما رضعته في حجره من المبادئ الدينية والتقى واصفح بُنيّ |
| الرشيد | اقلني باسم ابيك واهلك والّا متُّ كمدًا |
| الحسن | غفر الله لك انك |
| الرشيد | شكرًا لك وبّي |
| المامون | عاهدني على الاخاء كما سبق |
| الرشيد | عش في قصري مع المأمون وكن له اخًا |
| الحسن | لا افترق عمّن هما لي اب بعد ابي واخ بعد اخي |

---

١) الفخري (٢٦٤)
٢) الفخري (٢٦٦)
٣) لم تتفق اقوال المؤرخين في هذا الامر فذهب قومٌ انهُ اسف واضمر الاسف وقومٌ انهُ اعلنهُ مرارًا

الرشيد لستَ اهلًا ان يزين ابن جعفر مقتلي — (الفضل) هات يا خائن خاتم الوزارة واذهب الى لعنة الله وحرّ سقرٍ. اولى لك. فلا تجاورني وان رأيتك قتلتك. ولولا ان سفك دمك هو عار عليّ يوم فزتُ بالعفو من البرمكي لهدرتهُ

الفضل وجزاء سيئة سيئة مثلها (يخرج)

العلوي بئس مَن باع دينهُ بدنياه فلم تربح تجارتهُ

الرشيد (لياسر) انت اردتَ الدفاع الان عن هؤلاء. كن حرًّا لوجه الله

ياسر ساسير الى بلادي واعيش في النسك والعبادة تعويضًا عمّا فرط مني

الرشيد (لياسر) حسن. (لعبدالله) كن يا عبد الله وزيري وقم باعباء الدولة كما قام بها يحيى وجعفر

عبد الله ان نفسي لا تطاوعني على هذا

الرشيد عيشوا يا كرام في قصري فقد ملكتكم كل ما كان عليه البرامكة ووليتكم على الوزارة والحجابة والامارة

العلوي سألت امير المؤمنين ان يعفينا ويمكننا من الذهاب الى البلاد البعيدة نعيش فيها في الخلوة والعبادة ونموت كرامًا

عبد الله وان اجاز لنا اتينا كل عام الى هذه الخرائب نحج الى كعبة الشرف والدين والوفاء. فنذكر البرامكة ونندب الدنيا على فقدهم

الحسن سلام على الدنيا اذا ما فقدتمُ بني برمك من رائحين وغادِ

الرشيد يا آل برمك انكم تحت الثرى اعلى واشرف من ملوك عاليه
فانا مليك الارض احسدكم واحسد قبركم يا ليت ضمَّ عظاميه
الله اكبرُ ايها العظماء والحكام م فاعتبروا بهذه الداهيه
فاذا حكمتم فاحكموا بالعدل لا تبغوا فعقبى البغي نار حاميه
وبصالح الاعمال لا بالظلم تد م خرون في الدارين نعمى ساميه (١)

(تمّت)

١) او فليقل الرشيد هذه الابيات :

يا آل برمك ما اسمى مناقبكم فلحدكم كعبة حجّت لها الامم
يا جعفر الجود يا فضل المحاسن يا يحيى الزمان دهاكم كيد من ظلموا
هدمت عزّي بكفي اذ سمعت الى قول الوشاة فاضحى قلبي الندم

# العواطف الشريفة

رواية للخوري اسطفان البشعلاني (ملخصة من الافرنسية)

## ١

دامت الحرب بين امراء المانية الصالحين وبين امبراطورها وامرائها الكاثوليك من سنة ١٦١٨ الى ١٦٤٨ فعُرفت بحرب الثلاثين سنة وهي تقسم الى اربعة ادوار: ١ دور الاشراف وهو قتال فردريك الخامس منتخب بافارية والامبراطور فرديان الثاني. ٢ الدور الدنمركي المشهور بتدخل كرستيان السادس ملك الدنمرك في شؤون المانيا. ٣ الدور الاسوجي وقد عُرف بانتصارات غوستاف ادولف ملك اسوج الذي قُتل في لُتزن. ٤ الدور الافرنسي وفيه نرى ريشليو يساعد المصلحين قصد الخفض من شان النمسة الى ان حملت انتصارات فرنسة اخيراً الامبراطور فرديان الثالث على توقيع معاهدة وستفالية

فالى هذا الدور الاخير ندعو القارئ الكريم ليتبعنا الى جهة سبارت من بلاد المانيا في اواخر سنة ١٦٤٤ في ليلة ارخى الظلام فيها سدوله واختفت نجومها وقرس بردها فاستحجر التراب وجمدت الاشجار والمياه في الانهار. وكان الجليد يتكسر فيُسمع له انين كأنهُ شكوى الحزين وانضمّ الى هذا الانين صوت العاصفة التي كانت تهب من بعيد على الجبال

وكان فارسان غساويان ممتطيان جوادين كريمين يسيران في أجمة كثيفة وهما يبحثان عن الطريق المثلى وقد التحفا بدثارين طويلين يجللان الجوادين. وكان احدهما فتى يدلّ وجههُ على الحداثة لابساً بزّة ملازم وكل ظواهره تنبئ بانهُ فارس مجرَّب. اما الآخر فكان كهلاً قد ارتسمت في وجهه ملامح الغم الشديد والالطف وارخى ضفائر شعره حول جبهتهِ المجعَّدة واطرق رأسهُ كأنهُ يحتمل راضياً متاعب سيره في ذلك الليل

جودوا بصفحٍ على من خان عهدكُمُ فالصفحُ شيمتُكُمْ من قبلُ والكرمُ
فلو درى الناسُ عُقبى البغي لاجتنبوا كيدَ الطغاةِ فلا يَطغَون ان حكموا
تفقهوا يا أُلي الاحكامِ واعتبروا ولا تجوروا فانَّ اللهَ ينتقمُ

البهيم ويشجّع جوادهُ الذي كان يتعثّر بجذور الاشجار المكسورة. لا يشكو بردًا ولا ظلامًا ولا تيهًا

وللحال صاح الملازم الفتى: متى ينجلي هذا الليل الطويل. فقد اجتمعت فيهِ الظلمة والبرد والخوف من الذئاب ومن عدوّ طارق

قال الآخر: اهذا هو البأس الذي امتاز بهِ ابناء جرمانية الاشدَّاء. وما الشكوى يا فيليب ألّا لتزيد المحن شدةً فاصبر على الشدَّة وضع نفسك فوق المصاعب

فقال الملازم: أوَ تظنُّني يا مولاي الامير الاي أبلغُ ما بلغتهُ انت من العزيمة والصبر على الشدَّة فانت اصلب عودًا من شجر هذا الغاب ولقد عجبتُ من ثباتك في مواقف الحروب العديدة التي شهدتها. كنت صبورًا في القتال ثبتًا في الهزيمة رصينًا في الفوز كبيرًا عند تقلبات الايام يحترمك الجيش ويحبك الامبراطور ويهابك العدو. على انني العن هذه الحرب التي جرَّت على البلاد والعباد انواع البلاء والقهر

قال الامير الاي: لا تتمادَ يا فيليب في السير مع تيار الهواجس والفكر فنحن ندافع عن واجب مقدَّس فاذا وخطك الشيب ذهبتْ منك هذه الحدَّة او يليق بنا ان نترك الدفاع عن دين تلقنَّا شعائرهُ عن والدين فارقونا ولم يفارقنا ذكرهم؟

فأثَّر هذا الكلام في قلب الشاب وذكر بعد نسيانهِ ايام الصبا فقال: نعم لقد علمتني والدتي الصالحة محبَّة الله وتكريم الدين. ان نفسها وقت الصلاة كانت ترتفع مع نفوس اولادها الى الله عزَّ وجلَّ بمنتهى الورع. آه لقد ماتت والدتي واختي وقُتل والدي في بعض الحروب!

ثم صمت فيليب وتزاحمت الافكار في مخيلتهِ. اذًا الامير الاي الذي كان من قبل رابط الجأش فاخذت تتقسَّمهُ الهواجس وتنهَّد من اعماق الفؤاد فسمعهُ الشاب فصاح: عفوًا يا مولاي الامير الاي بل يا اخي الحنون لقد احزنتُك على غير قصد وحرَّكت ساكن اشجانك

فاجاب بصوت منكسر: «نعم لقد آثار حديثك فيَّ مرارة نفس كتمتُها وذكَّرني بشدائدي واحدةً فواحدة لقد صبرتُ وتأسيت بغيري ممن أُصيب باعزَّائهِ الّا ان ذلك لا يشفي جراح أبٍ وزوجٍ تعيس.. لم اكن وحيدًا يا فيليب من قبل فقد كنت مقيمًا في دوقية باد أنعم بمسرَّات العائلة والحبّ الطاهر فهناك امرأة شريفة عرفتني ما في الحيرة

من الغبطة وعرّفني فقدها ما يفعل الحزن في القلب

« ولقد رزقني الله ولدين قرّت بهما عيني اذ جمع فيهما كمالات والدتهما ولكن ما عتّم ان أشهر الحرب ورأيت الوطن يدعو ابناءه وشعرتْ زوجتي اليونورا بحرج الموقف فأخذت عواطفها وكانت تسبق الى تشجيعي بقولها : ان الله والوطن يدعوانك فلا تتوقّف عن تلبية الدعوة . وقد تمكنتُ بعد سنتين من الرجوع الى اهلي لاعانقهم استعداداً لفراق مرّ . لله ما اجمل ما كانت صورتها عندما ودّعتها آخر مرّة ! اني اراها دائماً في احلامي تبتسم وذكرها الجميل اثمن كنز اصونه . وقد خطف الموت مني ولدي غستون فعظم المصاب عليّ ولكني صبرتُ وانصرفت بكليّتي الى ابنتي الوحيدة . . .

« انني شريف الاصل غير ان والديّ لم يُبقيا لي سوى شعار اسرتهما . وصلتُ الى الجنديّة من صباي واقترنت في الخامسة والعشرين من عمري بامرأة مثلي لا مال لها غير انها كانت قنوعة مقتصدة تعتبر سعادة العائلة احسن سعادة . وكانت مَجريّة الاصل فلمّا مرضت خُيّل لي ان رجوعها الى وطنها يعيد اليها العافية بعد ما عجز عنها نطس الاطبّاء . فعرضت ذلك عليها فتوردت وجنتاها وقالت : اني لم اترك بلادي الّا لاعيش معك يا كرستيان . . . أرغب العود الى بلادي ولكني ضعيفة الآن فنؤجل ذلك الى وقت آخر . . . وقد كانت السكينة تبسم للحياة والموت يعانقها

« وما لبثتُ ان نادتني الحرب ولم يسعني الوقوف دقيقة لئلّا أُحسب جباناً ولانّ حمل السلاح مهنتي التي تعيش منها عائلتي . اواه يا فيليب عندما ودّعتني اليونورا وضممتُ ولدي غستون الى صدري كنتُ اتمنى الموت في تلك الساعة . ولم يمض على سفري شهران حتى قضت زوجتي وقضى بعدها غستون باسابيع قليلة ومن هذا تعرف كم قاسيت ولِمَ عاجلني الشيب . انني سرت حيثما قادني الشرف الذي منعني عن تلبية نداء الحنوّ . امّا ابنتي ماتيلدا فاين ماتت ؟ ذلك ما يجهله هذا الاب التعيس . وقد كنتُ لمّا علمت بموت زوجتي قبل موقعة لُتزن دعوت الموت في ساحة يلقى فيها كثير من الابطال الشبّان موتاً مجيداً فلم تُصبني رصاصة ولم يمسّني حسام . قُضي عليّ بان اعيش . . . فاعيش لكي اتعذّب

« وما كادت الحرب تضع اوزارها حتى أُنبئت بفاجعة مؤلمة وتلك انني كنت وكّلت امر ابنتي ولها من العمر تسع سنوات الى امرأة فاضلة كانت صديقة لوالدتها

فقيات الوكالة وطوّقت ابنتي بعقود الحنان غير أنهُ بعد زمن قليل نزل بالقرية التي كان فيها منزلنا فرقة من الجنود القساة وذهب كل شيء طعاماً للسيف والنار وهلك خلق كثير ونجا الباقون هرباً. وخُطفت ماتيلدا ولم تتمكن من الوقوف لها على اثر مع ما بذلنا من التفتيش. ولزيادة البلوى أُصبتُ بعد ذلك بجرح تركني في ساحة القتال بين حي وميت وبعد مدة عدتُ الى الحياة بالعناية واستأنفتُ البحث عن ابنتي فذهب تعبي ادراج الرياح وكان يعذبني خوفي من ان تكون ماتيلدا ذهبت ضحيةَ التعصُّب بصفة كونها ابنة جندي كاثوليكي. وماذا يحلّ بي اذا كانت ابنتي أُبعدت الى مكان تعيش فيه عيشة الرذيلة! فكان هذا الفكر يمزّق احشائي تمزيقاً والافضل ان تكون ماتت الف مرةٍ ولا يلحقها هذا العار »

وهنا انحنى الامير الاي على عنق جواده وتمادى في البكاء والنوح

فاخذ فيليب يشجعهُ ويعزيهِ على الصبر فقال الامير الاي: « لقد اصبتَ فما تنفع الشكوى فالامثل بي ان اخفي حزني واجعل صدري مركزاً حصيناً انقش عليه اسماء احبائي الثلاثة. ولا غروَ انك كنت اوّل من عرف سرّ بلواي وحزني بعد ان كتمتهُ ثماني عشر سنة »

قال هذا ومدَّ يدهُ الى فيليب فاخذها الفتى وقبّلها ونثر عليها لؤلؤة من الدمع

ثم استطرد الامير الاي الكلام قال: « آني غنيٌّ الآن ويا ليتني كنتُ فقيراً مثل يوم كنت املك فيه مع أُسرتي ذلك الكنز الذي اوتيتهُ من السماء. وكم من رجل يسحب مثلي ذيول الغنى والجاه كالاسير الذي يرسف بقيودهِ الثقيلة. وكلما كنت احاول تخفيف ويلات التعساء بتجديد ابتسامة على شفةٍ تراءت لي صورة ابنتي وهي صفراء متوجعة فلماذا ارى تلك الروح التي شاء الله ان ينقلها اليه والى اليونورا مرفرفة حولي »

ثم سكت وسكنت الريح ايضاً واخذت تظهر الطريق لعيني المسافرَين بنور الفجر ونزلا الى الوادي واذ لم يعرفا الطريق قصدا محلّ اجتماع الناس ثم طرق اذنهما صوت جرس رفيّ يقرع « التبشير » في الكنيسة القريبة فاراد الامير الاي ان يدخل بيت الله استرجاعاً لقواهُ التي فقدها في تلك الساعة بتلك الذكرى المؤلمة فسلّم جوادهُ الى الشاب ودخل حتى اذا صار عند المذبح سجد واستغرق في التأمل

٢

ربط فيليب الجوادين بحديد القبرة وتبع الامير الاي فسجد منكرًا بوالدته ونظر نظرة الشفقة والاحترام الى ذلك الرجل الذي فتح له قلبهُ. ولمَّا همَّ الامير الاي بالخروج اذا بفتاة تحمل طفلًا وراء كاهن وقرر فنظر هذا الى الامير الاي واسرَّ الى الفتاة كلمات فأصغت اليه الفتاة ثم دنت من الامير الاي وقالت بأدب: قد كان حضرة الاب رضي ان يكون عرَّابًا لهذا الطفل الفقير الَّا انَّهُ اذ رآك هنا رغب الى جنابك ان تتنازل وتقوم مقامهُ

قال: لا ادري ايتها الفتاة ما الذي حمل حضرة كاهنكِ على هذا الطلب

قالت: لان الطفل ابن جندي وبزَّتك تدلُّ على مقام رفيع في الجنديَّة فانت اذًا أليق لحظّ الولد من كاهننا الوقور

فتأثر الامير الاي لهذا الايضاح ورضي بان يكون عرابًا للطفل. ثم سألهُ الفتاة: وماذا تريد ان تسميه ؟

قال: لم افتكر بهذا لكن فلنسمِهِ فيليب... ونظر الى رفيقهِ

قالت: امَّا والدته فقالت لي: اطلبي يا لويزا الى المحسن الذي يكون عرابًا لابني ان يسمّيهُ كرستيان

فقال متعجبًا: «كرستيان؟ ما هذا الاتفاق انا ايضاً أدعى بهذا الاسم». وتعلَّق قلب الامير آلاي مذ ذلك بمن صار له ابنًا روحيًا فكشف القناع عن وجهه فرأى وجهًا غاية في الجمال ثم دنا من الكاهن فحيَّاهُ باحترام وسألهُ بعض معلومات عن والدَي المولود

فقال: انَّ اباهُ يدعى ريشار وهو دائر كي سمعتُ انَّهُ جندي باسل نبيه ولقد كان خليقًا بالمناصب الرفيعة لولا فقره وكونهُ اجنبيًا وكثيرًا ما رأيت ام الولد متكدرة متألمة ولمَّا احتاجت الى مساعدتي الروحيَّة رأيت منها نفسًا سامية غاية في العفاف وهي صابرة على ما لها من البلاء. فعسى ان تكون ولادة هذا الطفل طالع سعدٍ لهذه الشهيدة المسكينة

فشكر الامير الكاهن وتقدَّم الى جرن العماد واعطى الولد اسمهُ وقبل ان يستأنف سفرهُ وضع قبلةً ابويَّةً على جبهة كرستيان الصغير ثم اخرج من جيبه كيسًا من القطيفة الحمراء مطرَّزًا بالذهب وسلَّمهُ الى لويزا قائلًا: هوذا نفقات العماد

وسألهُ الكاهن عمَّا اذا كان يمرّ بهِ ثانيةً فاجاب: بعد ثلاثة اسابيع في مثل هذه الساعة أكون هنا ان شاء الله فان كان لولدي كرستيان حاجة امكنك ان تقولها لي ايها الاب بعد رجوعي

قال: ليباركك الله ويَمُنَّ هذه النفس الكريمة فترى من عائلتك كل سعادة انت اهل لها

فصافح الامير الاي الكاهن وشدَّ يدهُ قائلاً: « لا يمكن ان يُجاب دعاؤك يا ابتِ لان عائلتي في السماء ولا حظَّ لي.... » وغطَّى وجههُ بمنديلهِ وانصرف مع فيليب والكاهنُ ولويزا يشيعانهما حتى اذا غابا عن العيان دنا الكاهن من المذبح يصلّي لاجل ذلك الشريف ولمَّت لويزا الولد باعتناء. وسارت تريد منزل الجندي المسكين ولا شيءٌ يكدّرها سوى عبارة الامير الاي الاخيرة. فقد دعي الولد كرستيان بحسب رغبة والدتهِ وكان عرَّابهُ غنيًّا قويًّا والكيس المطرَّز يحتوي كميَّة من الذهب كل ذلك ممَّا يخفف بلوى ريشار وزوجتهِ اللذين احبَّتهما محبَّة شديدة

فدخلت الفتاة ووجهها يطفح بشرًا الى حيث كانت امرأةٌ في السادسة والعشرين من عمرها قد ارتسمت في وجهها علائم القلق والحزن وعلاها الاصفرار ما لم يُبقِ على شيءٍ من جمال ذلك الوجه. وكانت راقدة على فراش من القش فيلوح من كل احوالها ما يحمل على الشفقة وينبئ بما بلغت اليهِ من الشقاء. اما الغرفة فكانت حقيرة تحتاج الى الضروري والناظر اليها يدرك كيف ان العناية قد تخفي الشقاء تحت ستار النظافة والترتيب. ثم صاحت الفتاة: ها قد رجعتُ اليك يا سيدتي ببشارٍ سارَّة فلا تحزني. ان كنتِ فقدت بناتك الثلاث اطفالًا فابنك هذا يتمتع بصحة عجيبة وسوف يعيش ان شاء الله

قالت المرأة بصوت ضعيف لكنَّهُ حلو: اشكر لك يا ابنتي هذه الكلمات المعزّية

قالت: وان ابنك سُمّي كرستيان

فضمَّت المرأة يديها وهتفت: كرستيان! يا لهُ من اسم كريم محبوب

قالت: وان عرابهُ احد الجنود العظام على كتفيهِ رمانتان من ذهب وصدرهُ مرصَّع بالاوسمة وهو ابيض الشعر ملامحهُ كملامحكِ

قالت المرأة: لا ريب في انهُ متقدم في الجندية ولو كان ابي حياً لكان متمسكاً مثلهُ بهامة الابطال لانهُ كان بطلاً والآن فان نفسي تحدثني بشيء عنهُ

قالت لويزا: وهذا المراب الكريم اذ علم بأنكم لستم اغنياء اعطاني نفقات العاد فتوردت وجنات المرأة خجلاً وقالت: ولماذا قبلتِ يا ابنتي إحساناً

قالت: اه! ياسيدتي لو سمعتِ الرجل لحزن جداً او تظنين ذلك احساناً فانهُ دنا مني وضم كرستيان الى صدرهِ واعطاني الكيس قائلاً: « هـذا الفليوني ». وطرحت الكيس بين يدي المريضة ولما رأت ما فيهِ من الذهب هتفت: « اني اسأت فيما قلتهُ لان صاحب هذه العطية ابن نعمة وانا فقيرة يا لويزا ومنذ اسابيع لم يقبض ريشار معاشهُ وماذا كان اصابنا لولا هذه العطية ». ثم ضمّت ولدها الذي ابتدأت السعادة معهُ وقبل ان تلف الكيس وتصونهُ ارادت التمتع برؤية تطريزهِ واذا بها صاحت صيحة التعجب « ابي! ابي! » وسقطت لا تعي على وسادتها فاسرعت الفتاة الى معالجتها حتى افاقت من غشيتها ونظرت الى الكيس باكية وقالت مشيرة للويزا التي لم تفهم شيئاً مما جرى: «انظري يا ابنتي الى هذا التطريز فانهُ شعار أسرة والدي وهو يمثل سلاحهُ وكنت اظنهُ من سنين عديدة قد مات. أالزيادة هذا اني علمت الآن بأنهُ حي. فاين هو واين سار لاتبعهُ؟ آه! آه اني لن اراهُ الى الابد ». فتبسمت لويزا تبسماً ملائكياً وقالت: « بعد ثلاثة اسابيع تشاهدين والدك كما وعد الكاهن. اه! لقد اصبتُ اذ قلت بان ملامحهُ كملامحك »

وكانت ماتيلدا تتقلب بين الخوف والرجاء وهي لا تصدق بانها ترى والدها ثم تفكت واخذت تسأل الفتاة اسئلة كثيرة بيّنت لها دون شك ان المراب هو ابوها. وكانت تنتظر رجوع زوجها ريشار حتى اذا كان المساء بشرتها لويزا بقدومهِ ثم دخل وكان في الثلاثين من عمرهِ تلوح عليهِ سيماء اللطف يرتدي بثوب اونباشي فدنا من الفراش وهتف بصوت يذوب رقة: لقد اسرعت يا عزيزتي لاراكِ واعانق مولودنا الصغير وابشرك بان سفيراً من قبل الامبراطور اتى بنفسهِ لينقدنا المعاش المتأخر فهذه النقود لك يا ماتيلدا وقد وددتُ لو رأيتِ هذا الرجل الفاضل يشجعنا ولقد شاقني منظرهُ فكان يشبهك بعض الشبه

فصاحت المرأة وقد القت نفسها على ذراعي زوجها : ان هذا الذي أُعجبتَ بهِ يا ريشار هو ابي ..

— فما تقولين ؟

قالت : « وهو عرّاب ولدنا كرستيان الصغير وهوذا كيس منهُ عليهِ شعارهُ غير ان هناءهُ لم يتمّ اذ لم أرهُ وهو يجهل كوني موجودة » . ثم قصّت عليهِ كل ما حدث فكان يضمّ تارةً زوجته وتارة ولدهُ ويقول : لقد قاسى كثيرًا لاجلك ولكن الحمد لله لقد زالت أيام النحس !

ثم رأت ماتيلدا زوجها قد تغيّر وجهُهُ واراد الابتعاد عنها اخفاء لعواطفهِ فلحظت اضطرابهُ فسألت عن سبب تألمهِ فلم يستطع ألّا ان يصرّح لها بقولهِ : انك تلاقين والدكِ بعد فراق مرّ غير أنهُ اذا رآكِ فقيرة مجهولة مريضة وهو غني مشهور قوي أنكركِ ولعن الحظّ الذي جعل صلةً بينكِ وبيني . بل انكِ انتِ اذا رأيت نفسك محفوفة بمجالي العظمة واسباب النعمة هل تعودين تعترفين برفيقك الجندي المُعدم الذي لا يكاد يقوم بمعاشك حتى بثمن دمهِ ؟

فاصفرّ وجه ماتيلدا لكلام زوجها وكانت تعلم رقّة شعورهِ فادركت حالًا ما يجول في صدرهِ فاخذت يديهِ وقالت علنًا : ان ابي ذو نفس سامية فهو يباركك ويدعوك ابنًا لهُ . ولو فرضنا ان شعورهُ تغيّرت وانكرت علاقتي معك افيسمني ان انساك . اتعتقد ان الثروة تفرق بينك وبين زوجتك فلا تجعل هذا الريب يجرح قلبي . ولو كان اجتماعي بوالدي الذي لشاقة يحول بيني وبينك فاقسم لك بانني انكر حقوقي البنويّة محافظةً على الحقوق الزوجيّة والأُميّة

فاخذ ريشار يدي امرأته وضمّهما الى صدرهِ ودموع الفرح والشكر تترقرق في عينيهِ وقال : ماتيلدا انك كنتِ دائمًا في عينيّ اكمل مخلوقات الله واليوم صرتُ احسبكِ حقيقةً ملاكًا بصورة انسان

٣

مضت ثلاثة اسابيع والكاهن ينتظر رجوع الامير الاي وبعد انتظار ساعة في الكنيسة اذا بهِ قد اقبل فانحنى امامهُ الكاهن وطلب اليهِ ان يشرّف منزلهُ فلبّى الامير الاي الى اشارتهِ ومضى معه وبعد ان استقرّ بهما المقام قال الكاهن : « تعذرني يا مولاي

اذا القيتُ عليك بعض اسئلة ربّما خفيتْ اهميّتها عليك». فاحنى الامير الاي راسه علامة القبول واستطرد الكاهنُ قائلًا : اريد اعرف هل الشعار المرسوم على الكيس الذي اهديتهُ لفليونك هو شعارك

– لا شك بذلك

– او هل لك عائلة ؟

– كان لي رفيقة مُحبّة واولاد ظرفاء. وكلهم خُطفوا مني

– بالموت ؟

قال الامير آلاي : حبّذا لو خطف الموت الجميع فقد كان لي ابنة بقيت حيّة بعد امّها واخيها خطفتها يد قاسية وعذّبوا البنت بما ارادوا ان يعذّبوا الاب

فسألهُ الكاهن : واذا كان الذين خطفوا ابنتك ابقوا على حياتها ؟

فُبهت الامير الاي وتفرّس بالكاهن وقال : اني افضّــل يا ابتِ بان تكون ابنتي ذهبت شهيدة على ان تحيا حياة العار . ولو فرضنا انهم ابقوا على حياتها وآدابها الاولى التي رضعتها مع الحليب ولم ينزعوا من قلبها الطهارة التي هي فخر المرأة لبقيتُ في ريب مخيف من جهتها . تبارك الله في احكامهِ ويا ليت عظــام ماتيلدا ترتاح في زاوية من الارض ابلّها بالدموع وارشّها بالزهور !

فتمزّق قلب الكاهن لهذا المشهد المؤثر وجال الدمع في عينيهِ وقال : اني لاعجب من عواطفك الشريفة أيها الامير فقليل هم الذين يخضعون مثالك لاحكــام العناية الالهيّة واقلّ منهم مَن يضحّون من راحتهم في سبيل الشرف والفضيلة والآن فاسمح لي بان اسألك : اذا رُدّت اليك ابنتك وهي مزينة بالفضائل التي تلقّتها اوّلًا فهل يزول شكّك ؟

فلم يفهم الامير الاي هذه الالفاظ وكان ينظر الى الكاهن كمن أصيب في عقلــهِ لكنّهُ تغلّب على هواجسهِ وعزا هذه الملاحظــة لسبب بعيد عن خاطرهِ فقال : انني احترم يا ابتِ الداعيَ الحامل لك على هذه الاسئلة التي تؤلمني وان كنتُ لا افهمها واجيبك بانني اذا رأيت ابنتي المحبوبة على الحالة التي وصفتهــا فبلا ريب يشعر قلبي بفرح لا يوصف ولكن من يؤكّد بانها خرجت طاهرة من محيط كلّهُ اثمٌ ؟

قال : يؤكّد لك ذلك سيرتها الصالحة وحياتهــا المقدّسة وقد حان لي ان اكشف

القناع وابشرك بان ابنتك حيَّة وقد استحقَّت اكليل الاستشهاد الذي ذكرتهُ لي وهي على الارض فبلاؤها وجهادها وثباتها في الصلاح وقناعتها وتواضعها كل ذلك يجعلها مثال الفضيلة والشرف . ان ذكرك لم يفارقها دقيقة مدةَ ثماني عشر سنة وقد قاست مع زوجها مشقَّات الحياة وحبّها ثابت الّا ان الله عزى قلبها الكسير بعد ان فقدت ثلاث بنات بمولود جديد عمَّدتهُ منذ ثلاثة اسابيع وصرتَ انت عرَّابهُ فسمَّيتهُ انت كرستيان

وكان الامير الاي الذي لم يكن جبينًا في الحروب جاثيًا امام الكاهن وشفتاهُ ترتجفان ووجهه ممتقع وذراعاه مبسوطتان . فهتف وهو لا يكاد يعي « اين هي ؟ اين ابنتي ؟ يجب ان اراها او اموت » . فتقدَّم الكاهن وفتح بابًا مزدوجًا في الحائط فظهر من ورائهِ امرأة جاثية على ذراعيها طفل وخلفهما جنديّ شابّ مطرقٌ عليهِ سمات الاضطراب فصاح الامير الاي : « ماتيلدا يا ماتيلدا أأنت هي يا ابنتي ؟ » وترامى الاب والابنة على بعضهما وبعد معانقة طويلة وقبلات ودموع نهضت ماتيلدا وامسكت زوجها بعزة ونبالة قائلةً : هوذا يا ابي زوجي المحبوب ريشار الذي كان مخلّصي وملاكي وحارسي وهو جدير بمحبَّتك ورضاك

ففتح الامير الاي ذراعيهِ وقال : هلَّم يا ابني ريشار فقد صار لي منذ الآن ثلاثة بنين . . . فشكرًا لك يا رب على كل هذه النعم !

وكانت ماتيلدا بحاجة الى الراحة فالحَّ الكاهن على الاميرالاي وعلى ابنتهِ وزوجها بان يقيموا في بيتهِ ريثما تصحّ ماتيلدا من ضعفها فشكروا فضلهُ وسكنوا في جوارهِ

وبعد ان ملكت ماتيلدا تمام العافية بعد ايام اخذت تقصّ على والدها حديثها اذ كان ريشار في مهنتهِ العسكريَّة والكاهن في وظيفتهِ الرمانيَّة ولويزا منشغلة بكرستيان الصغير قالت : « انني خُطفت قسرًا من بيت حارستي يوم نهب الدفوكيون القرية التي كنَّا فيها وحملني جندي منهم يدعى أسوالد على جواد لهُ الى كوخ امرأة فقيرة اعتنت بي فبكيتُ ودعوتك وما من مجيب ونفرتُ اولًا من الجندي رغمًا عن عنايتهِ بي ثم عدتُ فسألتهُ ان يرجعني الى مكاني فاجابني بان لا سبيل الى ذلك قائلًا : « لان اباكِ مات في الحرب وحارستك قضت خوفًا وهلعًا وقد كنت اريد ارجاعك الى ابيك وان كان عدوًّا لنا ولم يكن خطفُك الَّا انتقامًا منهُ » . ولمَّا وضعت الحرب اوزارها حملني على جواد لهُ الى بلادهِ وكنت اذ ذاك في العاشرة من عمري ولمَّا وصل وجد امرأتهُ قد ماتت فحزن

جدًا ولكنهُ تعزّى بي وتبنّاني اذ لم يكن لهُ ولد

« ولا اقدر اصف لك ما رأيتهُ من مروءة أسوالد ومحبتهُ فانهُ كان بعد تركهِ الجنديَّة يشتغل في معمل لكي يعولني حتى مرض ومات بعد ان اوصى بي شقيقةً له اخذتني الى بيتها ولاطفتني اولًا لكنَّها تغيَّرت بعد ذلك واخذت تعذبني عذاب الشهداء. وكان لها ولد وحيد يدعى ريشار رثى لحالي ولاطفني مخفِّفًا احزاني وعذابي. وفيما كنت احنُّ شوقًا الى الوطن مرضت والدة ريشار سنة كاملة كنت اخدمها اصدق الخدمة حتى تعجَّبت وطلبت مني الصفح عن اساءتها اليَّ

« اخيرًا ماتت وخرجتُ من بيتها وعزمتُ على الخدمة والاستعطاء لاحصل معاشي فعرض عليَّ ريشار مساعدته بعد ان عرف قصَّتي واخيرًا طلب اليَّ ان اقترن به والحياء والادب يمنعانهِ عن ذلك زمانًا. فلمَّا رأيت مروءته وشرف عواطفهِ واخلاصهُ وضعت يدي بيدهِ واتَّخذتهُ لي رجلًا »

واستأنفت ماتيلدا حديثها قالت: « وبعد زواجنا باع ريشار ما يملكه لاجل نفقات الطريق فلمَّا وصلنا الى هذه الناحية انخرط في سلك الجنديَّة وعاني بشن دمهِ وجُرح في الحرب مرارًا واحتمل عذاب الجنديَّة بلا شكوى »

ثم سألت والدها عمَّا حمل اسوالد على ان يخبرها بموتهِ فقال: « انني بعدما خُطفت جرحت جرحًا مميتًا وشاع في الجيش انني متُّ »

*

بعد هذا الحديث بخمس سنوات اي سنة ١٦٤٦ كان الامير الاي ساكنًا قصرًا فخمًا في مقاطعة باد وقد اعدَّ مائدة جلس اليها ومعه ابنتهُ ماتيلدا وحفيدهُ كريستيان الصغير والى جانبهِ لويزا الامينة ثم دخل رفيقه القديم فيليب الذي صار اميرًا الايًا وصهره ريشار الباسل الذي ارتقى في الجنديَّة الى رتبة بيكباشي. ودخل بعدهما الكاهن الغيور وهنأ الجمهور على ما رزقهم الله من السعادة فقال: بارك الله بكم يا اعزائي وبيوم عُقد فيه الصلح واستتبَّ الامن وعاد السلام الى العيال ذلك اليوم الذي لا يوازيهِ الَّا يوم قدَّمتُ ماتيلدا وزوجها للاميرال النبيل « صاحب العواطف الشريفة » . فليحيَ الامير! فليحيَ كل اهل الفضل والمروءة!

# حماسة البحتري

لمعة ادبيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

الحماسة في اللغة الشدَّة والباس وفي اصطلاح ارباب الادب مجاميع شعريَّة ضمَّنوها كثيرًا من منظومات الاقدمين لاسيا التي غلبت عليها المعاني الدالَّة على التحمُّس والبسالة في الحروب . وكان اوَّل من طرق هذا الباب حبيب بن اوس الشاعر الشهير بابي تمَّام الطائيّ وضع حماسته في عشرة ابواب افتتحها بالشعر الحماسي فكان لمجموعهِ من الرواج ما ضاعف شهرتهُ حتى قيل انَّ ابا تمَّام في اختيارهِ للشعر اشعر منهُ في نظمهِ لهُ

وذلك ما حدا بغيرهِ من الادباء الى ان يقتصُّوا آثارهُ ويجاروهُ في العمل ويضعوا المجاميع الواسعة التي ضمَّنوها اجود ما عثروا عليهِ من اشعار الاقدمين مباشرةً باهل الجاهلية ثم المخضرمين ثم المُولَّدين. فتعدَّدت الحماسات حتى ان الحاج خليفة في كتابهِ «كشف الظنون» عدَّد منها بضع عشر وقد اخنى الدهر على بعضها فاخذتها يد الضياع كحماسة الاعلم الشَّنتمري (١ المتوفَّى في اشبيلية سنة ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م). وحماسة علي بن الحسن المعروف بشُميم الحلّي (٢. والحماسة العسكريَّة (٣. وقد نجا بعضها الآخر مع عزَّة وجودها في خزائن الكتب كحماسة الخالديَّيْن وهما الاخوان ابو عثمان سعيد وابو بكر محمَّد ابنا هاشم اللذان اشتهرا في خدمة سيف الدولة الحمداني صاحب حلب في القسم الآخر من القرن الرابع للهجرة وحماستهما معروفة بالأشباه والنظائر منها نسخة في المكتبة الخديويَّة (اطلب قائمتها ج ٤ ص ٢٠٢) . وكالحماسة البصريَّة في المكتبة عينها (٤: ٢٢٦) لصدر الدين عليّ بن ابي الفرج البصريّ الذي قُتل بامر الملك المغول هولاغو سنة ٦٥٦ هـ (١٢٦١ م) بعد ان خدم مدَّةً امير حلب

١) ذكرها صاحب خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب عبد القادر البغدادي (ج ١ ص ٥٢٦ وج ٣ ص ١٦٥)

٢) اطلب كشف الظنون (طبعة لندن ج ٣ ص ١١٦)

٣) فيهِ (٣: ١١٦)

الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ابا المظفّر يوسف وحماستهُ تضاهي حماسة ابي تمّام. وكحماسة ابي الحجّاج يوسف بن المحمّد البيّاسي الذي ولد في بيّاس مدينة في الاندلس ثم رحل الى تونس حيث توفي سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) وفيها ألّف حماستهُ التي لم يبقَ منها سوى بعض الفصول في احد مخطوطات خزانة غوطا من اعمال المانية ,,*Auzug* (Gotha, 13 قال الحاجّ خليفة (١١٥:٣) انهُ وضعها في مجلّدين وصنّفها في تونس في شوّال سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٩ م) جمع فيها ما اختارهُ واستحسنهُ من اشعار العرب جاهليّها ومخضرميها واسلاميّها ومولّديها — وكحماسة ابي السعادات هبة الله عليّ الشجري العلوي المتوفّى سنة ٥٤٢ (١١٥٠ م) وعلى ظنّنا أنّها الحماسة الموسومة في مخطوطات باريس بالعدد ٦٠٨ تاريخ خطّها سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) كانت في خزانة كتب العلّامة شيفر (Blochet : *Catalogue des Mss. Or. de Mr C. Schefer.* : p. 45) واسم المؤلف هناك ضياء الدين هبة الله (ابن) علي بن محمّد بن حمزة العلوي. قال الحاج خليفة (١١٦:٣) في وصف هذا المجموع «هو كتاب غريب احسنَ فيه. ذكرهُ ابن خلكان»

على أنّهُ ليس بين هذه البقايا الشريفة السالمة من تيّار الزمان ما يستحقّ ذكرًا كحماسة ابي عُبادة الوليد بن عُبيد الشهير بالبحتريّ. فانهُ اذ رأى ما نالهُ رصيفهُ وقرنهُ ابو تمّام من السُمعة الطيّبة بتأليفهِ للحماسة قصد مجاراتهُ فوضع لوزير الخليفة المتوكّل الفتح بن خاقان حماسة عارض فيها حماسة حبيب بن اوس. وقد ذكر ابن خلكان حماسة البحتري في تآليف هذا الشاعر في ترجمتهِ. وكذلك ورد ذكرها في كشف الظنون للحاج خليفة في باب الحماسات. الّا انّ ذلك التأليف مع حسنهِ كما سترى كاد يتلف في جملة ما طُمس من آثار الادهار لولا همّة احد المستشرقين الهولنديين ل. ڤرنر (L. Warner) الذي عثر في القرن السابع عشر على نسخة منهُ في الاستانة فابتاعها وارسلها لتودع في خزانة دولتهِ في ليدن حيث تُرى اليوم في جملة مخطوطاتها الثمينة وهي كواسطة قلادتها (de Goeje et Houtsma: *Cat. Cod. Arab.* ed., 2°, p. 385). وهذه النسخة راقية كما يظهر من ورقها وحبرها وخطّها الى القرن الخامس عشر للميلاد وهي مُتقنة جدًّا حُلّي وجيهها الأوّل بالذهب والنقوش وذلك «برسم الخزانة الصعيديّة العلويّة الأجليّة الفخريّة» كما ورد في مقدّمتها اشارةً الى احد الامراء

المماليك في مصر ممَّن لم يصرّح باسمهِ . وقد كُتبت هذه النسخة بخطّ نسخي جلي مُحكم على ورقٍ صفيق وضُبط قسمٌ منها بالشكل . وهي في ٤٠٠ صفحة وفي كل صفحة ١٥ سطرًا

وقد امتازت هذه الحماسة بعدَّة امور . منها وفرة ابوابها فان البحتري جعلها ١٧٤ بابًا ضمَّنها معظم المعاني الادبيَّة التي دارت على السنة شعراء العرب

ومنها ايضاً عدد الشعراء الذين رُويت عنهم بعض اقوالهم فانَّهم يبلغون نحو الستمائة اكثرهم من شعراء الجاهليَّة والمخضرمين . ولم يذكر الجامع من عهد العباسيين سوى نفر قليلين اخصّهم صالح بن عبد القدُّوس . وكفى بذلك دليلًا على سعة محفوظات البحتري للشعر القديم

ومنها ايضاً حُسن الاختيار . فانَّك في هذا المجموع الواسع لا تكاد تجد بيتاً واحدًا يمجُّهُ الذوق السليم . فان البحتري يلوح في كل شذرة منهُ نقَّادًا صحيحاً للشعر بصيرًا بمحاسنهِ

ويلحق بهذه الصفات مزيَّةٌ أُخرى يعرف ارباب الادب فضلها تزيد بها محاشي صاحب الاختيار في مجموعهِ لكلّ معنى بذيّ تنبو عنهُ الاسماع ولكلّ لفظة تمسُّ آداب الشبيبة . ولعلَّ هذا المجموع هو الوحيد الذي يخلو من كل مجون . بل لا ترى فيهِ اثرًا للنسيب والغزل فيَصلُح لأَنْ تتداولهُ احداث المكاتب دون الخطر على آدابهم وان يوصي بهِ ارباب المدارس . فانَّهُ احسن كتاب مدرسيّ يودعونهُ في ايدي الطَّلبة

هذه بعض صفات البحتري وقد اخذَنا العجب انَّ المستشرقين لم يكونوا بعدُ نشروا هذا الاثر النفيس ولعلَّهم كانوا فعلوا لو وقفوا على نسخة ثانية منهُ ليعرضوهُ عليها ويصلحوا ما وقع فيهِ من الاغلاط

ولمَّا كنَّا في هولندة سنة ١٨٩٢ اطَّلعنا على هذا الكتاب فثبتنا محاسنه وأسرعنا الى نسخهِ مع قلَّة الوقت الذي كنَّا نستطيع ان نصرفهُ هناك فأمكنَّا ان ننقلهُ بسبعة أيَّام فقط . وكنَّا قصدنا نشره سابقًا لولا تراكم الاشغال حتى الحَّ علينا بعض الاصحاب فاجبنا الى ملتمسهم وباشرنا بطبع هذه الحماسة في العام الماضي سنة ١٩٠٩ في مجموع آثار مكتبنا الشرقي ( Mélanges de la Faculté Orientale ) فظهر منها اكثر من نصفها ثم انجزنا العمل في هذه السنة وألحقناهُ بفهرس واسع للشعراء المذكورين

في الكتاب على ترتيب حروف المعجم مع ايراد ما قاله كل شاعر من الابيات في كل بحر وقافية. ثم عدنا فطبعنا الكتاب على حدة طبعةً مستقلّة لافادة الادباء

واذ كنّا على وشك النجاز ونحن نشتغل في حواشي الكتاب وبيان رواياته وتذييله بالملحوظات اذ بلغتنا نسخةٌ منه مرسومة بالتصوير الشمسي على اجود منوال وابدع مثال بهمّة اساتذة ليدن مع فهرسين للاعلام والقوافي على طريقة غير الطريقة التي اتبعناها. وهذه الطبعة متقنة جدًّا مرسومة على ورق مصقول غاية في الصفاقة والحسن فكأنّ الحاصل عليها يحصل على النسخة الامّ بل اتى الرسم اجود من الاصل لكثرة العناية به وها نحن قد اثبتنا هنا صفحة من هذه النسخة تنويهًا بمحاسنها كما أننا نشكر الشكر الحميم كل من تولّى هذا العمل وخصوصًا لجنة أدباء ليدن الذين خصّوا بهذه التحفة قسمًا من تركة فقيد الآداب الشرقيّة دي غوي (Fondation de Goeje) ثم نثني ايضًا على همّة العالمين صاحبي الفهرسين د. س. مرجليوث (D. S. Margoliouth) و ر. غاير (R. Geyer) فالحق يقال انّ هذه الطبعة طُرفة من طرف الدهر فلا نتعجّب بعد هذا انّ ملتزمي طبعها جعلوا ثمنها مائتي فرنك. وقد جاءت هذه النسخة في اوفق فرصة لتساعدنا على تأليف ذيل طبعتنا وعلى الاخصّ لاصلاح بعض اغلاط وقعت في نسختنا التي اضطرّنا كما قلنا ضيقُ الوقت الى ان نسرع فيها غاية السرعة وكذلك لهذا السبب كنّا سهونا عن نسخ ابيات قليلة فامكننا اثباتها في الذيل بعد المقابلة مع الاصل

ومما استفدنا ايضًا من هذه الطبعة المرسومة بالتصوير الشمسي انّنا نقّحنا كثيرًا من الاغلاط الواقعة في النسخة الأمّ فانّ ناسخها مع اتقانه لها لم يُحسن ضبط الفاظ منها بل روى بعض اماكن بالغلط فاشرنا الى ذلك في ذيل طبعتنا

وجعلنا هذا الذيل على شكلين شكل منهُ اودعناهُ اصل الحماسة البحتريّة مع فهارس الاعلام والقوافي واصلاح الاغلاط مع بعض ملحوظات قريبة التناول. وهو الذي نشرناهُ لافادة الشرقيين خصوصًا الذين لا تهمّهم الملحوظات العلميّة والروايات وجعلنا ثمنهُ ١٠ فرنكًا

امّا الشكل الثاني فتذييلهُ اطول يبلغ المائة صفحة ويحتوي على روايات كل عدد وما ورد فيه من الابيات في كتب الادب على ما اعتادهُ المستشرقون في طبعاتهم

الانتقاديّة مع الملحوظات اللغويّة والتاريخيّة وها قد نجز ايضاً طبع هذه النسخة التي قصدنا فيها خدمة المستشرقين لتعرض في مكاتب العلماء والخزائن العموميّة . وجعلنا ثمن هذه الطبعة الثانية ٢٥ فرنكاً الّا الذين سبقوا فاكتتبوا على نسخة او اكثر منها . وفي الختام نتمنّى ان يبحث ادباء الشرق على نسخة ثانية من هذه الحماسة للمقابلة ولاصلاح ما طرأ على نسخة ليدن من الشوائب . ونشكر كل من آزرنا في العمل من الرهبان اخوتنا

## البرتقال ، زراعتهُ وآفاتهُ

للمسيو اوغست جوفروا الفرنسوي نزيل بيروت (تابع)

﴿ هوامّ البرتقال ﴾ يتهدّد البرتقال آفةٌ عظيمة ألا وهي عدّة هوامّ صغيرة دقيقة لا تكاد تبصرها العين الّا انها كثيرة الشرّ فتتحامل على شجرهِ واذا تسلّطت على أنصابها ازدادت بعد قليل حتى انها تشمل كل اقسامها وفروعها واوراقها وثمارها فتفتك بها فتكاً ذريعاً وتُتلفها بعد زمن وجيز ما لم يتلافوا شرّها . وللبرتقال اعداء غير هذه الهوام كحشرات مختلفة تسري اليها وتُحلّ بها الاضرار . وقد سبق القول انّ تقضيب الشجرة وقطع اغصانها غير النافعة لمّا يزيد قوتها على دفع تلك الهوامّ بما يدخل في اعطاف الشجرة من النور الحيي والهواء الناشف وكلاهما دواء ناجعٌ ضدّ الهوامّ والحشرات ولذلك يختار الامركيون لزراعة البرتقال الامكنة المكشوفة للنور والرياح كالقُلَل المرتفعة المعرضة للشمس اليابسة الهواء ولا يدعون اغصانها تتكاثف ليجري بينها الهواء . وقد لحظوا انّ المزروعات التي على هذه الشاكلة كثيرة الجدوى وافرة المحاصيل بخلاف الاشجار التي تكون في الامكنة الواطئة او الكثيرة الرطوبة على شواطئ الانهار وسواحل البحر فانها تكون عرضاً للآفات التي اشرنا اليها

﴿ بيان الاضرار التي تلحقها الهوامّ بالبرتقال ﴾ اضرارها على نوعين فالضرر الاوّل انها تمصّ مائيّة الشجرة كما تسحب الطلمبة الماء من المعين لانّ لهذه الهوامّ الصغيرة أجهزةً طبيعيّة تمكّنها من الشجرة اخصّها فوهتها المستطيلة التي هي كمغرز تنفذهُ في انسجة الشجرة او قشرتها او ورقها او ثمرها فتنفث فيه نوعاً من السم الذي

يُلحق بها الأذى . فاذا كثرت هذه الهوامّ نزفت قوَّة الشجرة . والضرر الآخر هو ما تفرزهُ هذه الحشرات من الندى الدبق الذي يمتدّ على الشجرة وقشرتها وجذورها فيختمر وباختماره يلتصق بها شبه عصارة سوداء تسدّ مسامها وتمنعها من التنفُّس فتصبح الشجرة بين آفتين باطنة فظاهرة تؤدّيان بها الى العطب

﴿ تعريف هوامّ البرتقال ﴾ انَّ الهوامَّ التي تُصيب باذاها شجر الليمون واثمار البرتقال على نوعين : نوع منها مَحميّ ( cochenilles protégées ) ونوع أكْشَف ( cochenilles nues ) . فالمحميّ منها اذا ضرب اطنابهُ على شجرة واختصّها بطعامهِ انفذ فيها خرطومهُ الصغير ولا يلبث ان يُفرز مادَّة شمعيَّة تسيل فوق جسمهِ فتُصبح لهُ على شبه الترس يقيهِ من آفات اعدائهِ وهذه المادَّة تلتحم مع الشجرة حتى تبقى الهامَّة في كنفهِ لا يزحزحها شيءٌ عن مكانها . امَّا النوع الاكشف فانَّهُ يبقى على حركتهِ ويتنقَّل من مكان الى آخر او تحملهُ الريح او الطيور الى جهات شتَّى وهذا النوع لا يفرز مادَّة شمعيَّة كالسابق او تكون تلك المادَّة فوق جسم الهامَّة دون ان تلتحم بالشجرة فتحملها الهامَّة معها حيثما سارت

﴿ وصف النوع الاوَّل ﴾ هذا النوع الذي يشمل الهوام المحميَّة يؤذي شجر الليمون والبرتقال اشدّ الاذى . وهو على اشكال مختلفة تتفق كلّها بالمادَّة الشمعيَّة التي تصونها . فمنها شكل مستطيل ( la cochenille longue ) اصلهُ من الصين وانتقل منها الى جهات اميركة . ومنها شكل ارجواني ( la cochenille pourprée ) يُرى في كل البلاد التي تستنبت البرتقال وهو من اعظم الهوام ضررًا بها . وهذان الشكلان يعرفهما العلماء باسم ميتيلابسيس ( Mytilapsis ) ومنها شكل احمر ( la cochenille rouge, Aspidiotus ) وهو على عدَّة ضروب . ومنها ما هو اسود اللون و بعضها يكون منشق مُفلَّس ( cochenille glume, parlatoria ) . وقد وجدنا في سواحل الشام خصوصاً الشكل الارجواني والشكل الاحمر والشكل المفلَّس . وكل هذه الاشكال متشابهة في اطوار حياتها وعملها . واذا حملت انثاها توفّر بزرها ويبقي مصونًا تحت كنف المادَّة الشمعيَّة التي تستر الام الى أن تنفقس بيضها بعد حضانة طويلة . ويكون الصغار غاية في الدقَّة الَّا انَّ العين المجرَّدة تميّزهم وتراهم في تمام البنية مع صغرهم فيتهافتون على اوراق الشجرة واغصانها واثمارها ويغرزون فيها خرطومهم الطويل

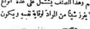
وينظرهم الراقب يكبرون بامتصاصهم لما على ان حياتهم العمليَّة قصيرة لا تدوم الَّا بضع دقائق وان طالت بلغت ساعة ونصف وبعد قليل يفرزون المادَّة الشمعيَّة التي سبق القول عنها فتمتدّ وتلتحم فوقهم الى ان يقوم بدلهم طور جديد . وهذا الترس المشمَّع يختلف لونًا على حسب اجناس الهوامّ فيكون اصفر او احمر او ازرق او اشقر وكذلك تختلف اشكالهُ فمنهُ المفلطح ومنهُ الطويل او البيضويّ الشكل . والاناث منهـا تُبدّل مرَّتين فيلتحم بلحُها بالشمع الذي تفرزهُ . اما الذكر فانَّهُ يُبدّل اربع مرَّات وكبرهُ نصف كبر الانثى واذا تمَّ تبدلهُ الرابع تجنَّح وطار . فيمرُّ عليهِ الى تمام اطوارهِ نحو خمسة او ستَّة اسابيع في الصيف وفي الشتاء تطول هذه المدَّة . فالأُنثى اذا ألصقت بمكان من الشجرة وغرزت فيهِ بمَّصها لا تتحرَّك البتَّة وإن تلف ترسها الشمعيّ الواقي لها فاصابها الهواء ماتت من ساعتها . وتحمل الانثى كل مرَّة من ١٠٠ الى ٥٠٠ ذرَّة فيتوالد هؤلاء حتى يبلغوا بعد قليل الوف الالف وملايين الملايين وذلك في فصل واحد من السنة فترى من ثم كم يستدعي دفع آفتها من العناية والاجتهاد الى أن تُنظّف الاشجار من بقاياها



هامَّة البرتقال من الجنس المتسمّر مكبَّرةً في كلّ اطوار حياتها

﴿ وصف الصنف الثاني ﴾ قلنا انَّ هـذا الصنف يمتاز عن الاوَّل بانَّ اشكال الهوامّ تتحرَّك طول حياتها وتتنقَّل والبعض منها لا يفرز شيئًا من الموادّ الواقية له من الآفات . أمَّا البعض الآخر فانَّهُ يفرز مادَّة شمعيَّة كالصنف الاوَّل غير انَّ هذه المادَّة ترافق الحشرات لا تلصقها بالشجرة كتلك . ويوجد ضربٌ منهـا يُفرز

مادة قطنية او شبه الدقيق وكل ذلك مما تحرس بهِ نفسها وتقي صغارها من آفات الهواء واحوال الجوّ وضروب الاعداء الذين يترصّدونهم وهذا الصنف يشتمل على عدَّة انواع اخصها نوع الليكانيوم (Lecanium) الذي لا يفرز شيئاً من الموادّ لوقاية نفسهِ ويكون امَّا اسود اللون او نصف كروي او مستطيل الشكل . وحشرات هذا الصنف تُشبه الصنف الاوَّل في حياتها وولادتها ونموّها



هامَّة البرتقال من الجنس المكشوف عند امتصاصها الشجرة

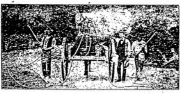
﴿ علاج للبرتقال من آفته ﴾ لعلاج البرتقال من الهوامّ المتسلطة عليه طريقتان . الاولى بان تُرَشّ الاشجار بموائع مسمومة فاذا امتصّتها الهوام تسمَّمت وماتت ثم انَّ تلك الموائع تسيل على الشجرة وتنفذ تحت الستر الواقي للحيوان فينحلّ سترها وينكشف عنها فتتلف . والطريقة الثانية هي طريقة الغازات السامَّة فانَّ الزرَّاع يسلطها على الشجرة بالتدخين وتتنشَّقها الحشرات فتموت

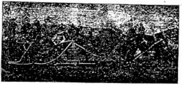
( الطريقة الاولى ) انَّ اخصّ الموائع التي تصلح لقتل الهوامّ العادية للبرتقال انَّما هو البترول لانَّ البترول من شأنهِ ان يُحلّل كل الاجسام الدهنيَّة كالموادّ التي تفرزها الهوامّ وتتقي بها نفسها وهو اذا أصابها فعل فيها فعل السمّ . الَّا انَّ البترول المستعمل لذلك يكون على صورتين فمنهُ المستقطر (au Distillé) لأُنهم يتَّخذون لذلك ما بقي من البترول المعدني بعد استقطاره وهو المسمَّى مازوت (Mazout) في فرنسة وتبيعهُ كل الشركات التي تستخرج البترول من مناجمهِ . امَّا تركيبهُ فيكون هكذا لكل مئة لتر يؤخذ ثلاثة لترات من البترول المستقطر ويضاف اليه ١٠٠ غرام من الصابون و٢٠ غراماً من الصودا الحيَّة . هذا للبرتقال . امَّا الليمون (citrons) فيتَّخذون له خمسة لترات من البترول و١٥٠ غراماً من الصابون و٢٥ غراماً من الصودا مع ٩٠ لتراً من الماء . وانَّما اضافوا الى المزيج شيئاً من الصودا لانَّ لولاها لما تحلّل البترول في الماء . وكذلك يجعلون نحو خمسة لترات من الماء الحارّ في المزيج ثم يعهدون الى مضخَّة ( مرشَّة ) ويرشّون الشجرة بذلك المزيج من كل جوانبها ويخلطونهُ خلطاً محكماً ويكون هذا العلاج انجع وافضل اذا كان الزارع كما قلنا سابقاً يسبق وينظّف

الشجرة بقطع الاغصان المتطفلة وإزالة الزوائد التي تمنع نفوذ الهواء والشمس اليها

واعلم انّ البترول يتّخذ على صورة اخرى تريد البترول المصفّى ( pétrole raffiné ou lampant ) المعروف ايضاً باسم كيروزان ( Kérosène ) فيأخذون منه ستة لترات يمزجونها باربعة لترات من الماء الحار و ٩٠ لترًا من الماء البارد ويحلون في المزيج ٣٦٠ غراماً من الصابون السكّي المعروف بالصابون الاسود ويرشّون المزيج على الشجرة بالمضخّة كما مرّ

وقد تحقّق ارباب الزراعة انّ العلاج بالبترول على نوعيه فعّال يفني بعد قليل آثار الهوامّ وهو مع هذا قليل الكلفة لاسيا البترول المُستقطر . ويكرّر العلاج ثلاث مرار في السنة في شباط وايار وآب





مضختان لرشّ البترول على شجر البرتقال

ويلحق بهذه الطريقة مزيج آخر اي بالراتينج ( résine ) بدلًا من البترول فيخلطون كيلوغرامين من الراتينج مع ٥٠٠ غرام من الصودا و ٣٥٠ غراماً من الصابون السكي. فيغلون هذه المواد في إناء يملأنه بنحو اربعة اصابع من الماء ويزجرونه حتى الى ان يُصبح لونهُ كالقهوة السوداء. والافضل ان يُرشّ وهو حام.

وكذلك شاع في بعض البلاد لاسيا اميركة الشمالية استعمال مزيج ابيض يدهنون به اشجار الليمون وهو يتألف من ٥ كيلو من الكلس الحجري و٣ كيلو و ٣٠٠ غرام من الكبريت فيغلونها في ١٥ لترًا من الماء ثلاث ساعات في اناء من الفخار (لأنَّ الكلس والكبريت يؤثران في النحاس) ثم يزيدون ٨٥ لترًا أخر ويدهنون الشجرة كلها بهذا المزيج الابيض بعد شهر آذار لئلا يضرّ بالاغصان الجديدة. ويُشترط ان يكون الكلس ناعماً صافياً مغربلًا وكذلك الكبريت مُصفّى. وقد شكر هذه الطريقة كل من استعملها فانها تجتث مزدرعات الليمون من الهوامّ الضارة.

(الطريقة الثانية) اي طريقة الغازات تقوم بتدخين غاز الحامض السيانديك ( acide cyanydrique ) وذلك بان تجعل كمّية من الحامض الكبريتي في اناء ويضعون فيه سيانور البوتاسيوم ( cyanure de Potassium ) فللحال يتصاعد من هذا التركيب ذاك الحامض السامّ اي الحامض السيانديك الذي لا يستنشقهُ حيوان ألا مات بريحهِ القتال وعليه يلزم في استعماله اتخاذ كل الاحتياطات والوسائط الواقية



خيمة لتدخين البرتقال بغاز الحامض السيانديك

من اضرارهِ وقد عملوا لذلك خيماً واسعة من الجنفاس السميك او من المشمَّع فينشرونها بواسطة اخشاب وبكَرات فوق بعض الاشجار من البرتقال بحيث تغطّي الخيمة الشجر من كل جانب ثم يجعلون في داخل الخيمة الماء من الحامض الكبريتي ويلقون في الاناء من خارج الخيمة قطعاً من سيانور البوتاسيوم فينبعث ريح الحامض في الخيمة كلّها ويمتدّ في كل اقسام الشجرة ويقتل كلّ ما عليها من الهوامّ. ثم ينقلون الخيمة الى اشجار أُخرى ويكرّرون العمل حتى تُدخَّن الاشجار كلّها. امّا المركَّب فتكون كميّاته على هذه النسبة:

| | |
|---|---|
| سيانور البوتاسيوم | ٣٠ غراماً |
| الحامض الكبريتي | « « |
| الماء | ٦٠ « |

ويجوز ايضاً اتّخاذ المركّب على هذه الصورة:

| | |
|---|---|
| سيانور البوتاسيوم | ٥٠ غراماً |
| الحامض الكبريتي التجاري | ٣٠ « |
| الماء | ١٠٠ « |

ونكرّر هنا تنبيهاً على متّخذي هذه الطريقة ان يجتنبوا استنشاق الحامض المنبعث من هذا المزيج لئلّا يُصابوا بسمّهِ الذعاف ولذلك الاولى ان يضعوا اوّلًا الماء في الاناء ثم الحامض الكبريتي ويُلقوا اخيرًا السيانور عن بُعد

وهذه الطريقة افضل من الطريقة الاولى اذ لا تترك جرثومة ضارّة الّا انها كما رأيت ذات خطر وهي ما عدا ذلك تقتضي نفقات بالغة بخلاف الطريقة الاولى التي يسهل استعمالها وقد وُضعت لذلك عدّة ادوات تعين الزارعين في عملهم كالمضخّات والآلات الرشّاشة (pulvérisateurs) والقساطل (الحيّات) التي يستعينون بها للعمل. ولكن يجب على الزارع ان ينظّف هذه الآلات ويغسلها بعد استعمالها لئلّا تتلف بعد زمن قليل وتذهب فائدتها

وكذلك يحسن بنا ان نذكّر القرّاء بانّ لهوامّ البرتقال والليمون اعداء جعلهم الله كدواء لذلك الداء. ألا وهي حشرات صغيرة تُدعى كُكسينال (coccinelles) اخصّها الجنس المنتشر في اوستراليّة (coccinelles d'Australie) قد طُبع على معاداة هوامّ البرتقال فاذا وُجد حيث تعيث باجزها القتال ولا يزال يكرّر عليها

الغارات حتى يُتلفها بعد زمان قليل كما رأى اهل بيروت منذ عامين لمّا أُصيب البرتقال بآفة الهوامّ فاستحضر بعضهم من اميركا حشرة الككسينال فانتشرت وفتت غرًّا غربًا وتظّفت حدائق بيروت من زحفات الهوامّ الضارّة

هذا ما رأينا ان نلخّصهُ هنا لفائدة الشرقيين . ومن اراد المعلومات الواسعة في ذلك فعليهِ بكتاب نقلناهُ الى الفرنسوية وطبعناهُ سنة ١٩٠٤ هذا اسمهُ:

Maladies des Orangers. Cochenilles et Mites des Citrus par G. L. Marlatt. Traduction avec Commentaires par *Auguste Geoffroy. Cannes*, 1904.

# السرّ المَصون في شيعة الفَرْمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## ٦ الآداب الماسونيّة

عرفنا من الفصول السابقة ما هي الماسونيّة وما هي الغايات الملتوية التي ترمي اليها وما هو نظامها الخفي والعلني . بقي علينا ان نتقصّى آثارها ونتتبّع اعمالها المنبئة بحقيقة امرها فان الشجرة على قول الربّ تُعرَف من ثمرها اذ لا تستطيع شجرة صالحة ان تأتي بثمر رديء ولا شجرة رديئة بثمر صالح فلا يُجنى من الشوك عنب ولا من العوسج تين . ومثلهُ قول العرب : كل اناء ينضح بما فيهِ

وقد دعونا هذا القسم من مقالاتنا بالآداب الماسونيّة ونحن مستكفون من الجمع بين هاتين اللفظتين المتنافيتين كقولنا النور المظلم او العسل المرّ الّا انّا رأينا الماسون يفتخرون بآدابهم فاضطررنا الى موافقتهم في الاسم ريثما يلوح لنا ما تحت هذه اللفظة من المعنى . وكم اسم دون جسم ! وعليهِ نستميح عذرًا من قرّائنا لتزيين مقالتنا بهذا العنوان الفخيم فانّهم يرون قريبًا ان شاء الله ان الآداب الماسونيّة كالقبور المجصّصة التي اشار اليها السيّد المسيح (متى ٢٣ : ٢٧) فانّها جميلة من خارجها وهي مملوءة في الباطن نجاسةً ونتانة

اعلم انّ الادب في تعريف الفلاسفة عبارة عمّا يُحتَرَز بهِ من جميع انواع الخطأ .

وكثيرًا ما يراد في اصطلاحهم تهذيب الاخلاق البشريّة وتثقيفها على ما يقتضيه العقل السليم. ولمّا كان البشر من مخلوقات الله المستدلّين بالنطق على وجود خالقهم وقد وُجدوا على الارض ليعيشوا بالتعاضد والاخاء في الهيئة الاجتماعية وهم مع ذلك افرادٌ مركّبون من نفس وجسد وقوى عقليّة نتج عن ذلك عدّة فرائض او واجبات ينبغي عليهم ان يقوموا بها اوّلًا نحو الباري سبحانهُ وتعالى رب العالمين. ثم نحو القريب في اطوار المجتمع الانساني فيؤدي بعض الناس للبعض الآخر ما يستوجبون من الحقوق. واخيرًا يضاف الى ذلك واجبات الانسان نحو نفسه لبلوغ غايته في الارض

وها نحن نستقري هذه الواجبات في ثلاثة ابواب لنرى كيف يقوم بها الماسون

## الباب الاوّل

### الماسون وواجبات الانسان لربّ العالمين

#### ١ اعتقاد وجود الله

انّ رأس كل المعتقدات البشريّة وجود اله واحد واجب الوجود ازليّ قادر على كل شيء عالم بكل شيء خالق كل شيء بمشيئتهِ يحتاج كل مخلوق اليهِ ولا يحتاج هو الى احد. قال الرسول المصطفى في رسالتهِ الى العبرانيين (١١: ٦) ان الذي يدنو الى الله يجب عليه ان يؤمن بأنهُ كائن. وكل هذه الصفات العلويّة تؤخذ من النتائج العقليّة التي يمكن الانسان ان يستفيدها بنظر الادراك حتى ولو فُرض ان الوحي لم يشهد بها

والحال انّ الماسونية وفقًا لمبادئها الكفريّة تنكر حقيقة وجود الخالق. وليس هنا الكلام على بعض افراد الماسون الذين يجهلون اسرار شيعتهم او لم يبلغوا بعد الى معرفتها تمامًا. وكذلك نستثني بعض البلاد التي لم تبلغ فيها الماسونية مداها فتخاف من المجاهرة بالزندقة. وانّما كلامنا على الشيعة الماسونية من حيث هي جمعية قائمة بذاتها تجري عمومًا بموجب قوانين سريّة يعرفها بعض اعضائها المتقدّمين فيها. وكان هنا حقّنا بان نكرّر الشهادات التي سبقنا فدوّناها في كرّاسنا الأوّل حيث اثبتنا انّ الماسونية تعادي كلّ دين حتى الدين الطبيعي فتنفي وجود الخالق او اذا تلفّظتْ باسمهِ ارادت ليس الهًا قائمًا بذاتهِ بل الطبيعة ومجموع الكائنات. ولو اردنا لأتينا بشواهد أخرى تزيد قولنا اثباتًا. فهاك مثلًا مـا خطب بهِ الاخ ∴ فرنند فور (Fernand Faure) في

المؤتمر الماسوني السنوي سنة ١٨٨٥ وخطبة نُشرت في اعمال ذلك المؤتمر السرية ص ٧٠٦ ( Bulletin du Grand Orient, 1885, p. 706 ) : « اني أعلن بينكم صريحاً انهُ من الواجب علينا ان ننفي من العقول ليس فقط التعاليم الاكليريكية ولكن كل نفوذ ديني على اي صورةٍ كان. فكل اعتقاد ديني اساسهُ ما وراء الطبيعة ( كالاله غير المنظور ) انما هو ضعف في عقل الانسان »

ونشر قبلهُ الاخ ∴ زيل (Zille) في النشرة الماسونية الالمانية المطبوعة في ليبسيك في ١٠ ك ١ سنة ١٨٦٦ ما اعلن بهِ الاخ ∴ دي غاغرن ( Ch. de Gagern ) في مجتمع الماسون الذي عُقد تلك السنة: « علينا نحن الماسون ليس فقط ان نرقى فوق طبقات كل الاديان بل نتحرَّر ايضاً من كل اعتقاد وجود الهٍ ايًّا كان ». ثم ختم صاحب الجريدة زيل ما رواهُ اخوهُ بالماسونية قائلًا: « فترى من ثمَّ ان صَرح الاستبداد الروحي قد سقط وانَّ المتحرّرين عن كل اعتقاد قد فازوا ظافرين حتى انهُ لم يبقَ الآن احد يؤمن بالله وبخلود النفس غير البُلْه والحَمْقى » كذا!

وكان قبل ذلك سنة ١٨٧٥ الاسقف الاميركي السيّد مرتين نقل قراراً سريًّا وقف عليهِ لاحد زعماء الماسونية في عاصمة برلين جاء فيهِ قولهُ: « انَّ تصوُّر الله هو ينبوع وركن كل استبداد وكل ظُلم » كذا!

وطبقاً لهذا المعتقد امر كبير رؤساء المحافل الماسونية في ايطاليــة سنة ١٨٧٨ ان يستبدل رؤساء المحافل سؤالًا كانوا يلقونهُ سابقاً على طلبة الماسونية وهو « ما هي واجباتك نحو الله » فقرَّروا ان يُلقى بدلًا منهُ السؤال الآتي: « ما هي واجباتك نحو البشرية (١

ولم يكتفِ الماسون بان ينفوا ذكر الله في مجتمعاتهم بل أتفقوا على نفيهِ ايضاً من كتب التعليم في كل المدارس المنوطة بالحكومة فنجح مسعاهم في بعض الدول كفرنسة

ولعلّ القارئ يقول لنا انَّ الماسون في بلادنا ليسوا على هــذا الاعتقاد فأنهم يؤمنون بهِ تعالى ويجاهرون باعتقادهم. انَّ جوابنا على ذلك ان الماسونيــة في بلادنا منوطة خصوصاً بشرق فرنسة الاعظم فان كان الرأس لا يؤمن بالله أفلا يجوز نسبــة الزندقة الى الاعضاء؟ وان صحَّ قول الشاعر:

(١) اطلب نشرة العالم الماسوني ( Le Monde maçonnique 1878, p. 204 )

من المرء لا تسأل وأبصر قرينَهُ    فان القرين بالمقارن مُقتدِ

فكم بالحريّ يصح قول الآخر:

اذا شئتَ ان تقتاس أمر عشيرةٍ    وأحلامها فانظرْ الى من يَسُودُها

ويحسن بنا ان ننقل هنا ما اخبر به شاهين بك مكاريوس «من الدرجة ٣٣(١)» في كتابه «فضائل الماسونيّة» (كذا) في الصفحة ١٢٥ تحت هذا العنوان «بدعة الشرق السامي الفرنسويّ» قال:

وقام الشرق الفرنسوي الذي يتبعهُ محفل لبنان في بيروت ببدعة جديدة (اعني بدعة تُضاف الى بدع سابقة) نسردها للقارئ بالاختصار

جرت العادة انّ كل المشارق الماسونيّة والمحافل الكبرى لا تضمّ اليها من لا يعتقد وجود الله وخلود النفس (وقد بيّنّا كذب هذا الزعم بشواهد كافية) . . . فخطر لبعض اعضاء الشرق السامي الفرنسوي (بل قُل لمعدثيهِ ورؤسائهِ الكبار لانّ الاعضاء لا يستطيعون شيئًا الّا بايعاز الرؤساء) إلغاء هذا البَنْد وعدم سؤال الطالبين عن الاعتقاد بالله والخلود (وبالحريّ جحودهما كما بيّنّا) وانقسم لهذا السبب الشرق السامي (!) الى قسمين قسم موافق لرأيهِ وقسم غير موافق لهُ (والصواب انّ القسمين بين الماسون كلهم واقذوا) ولمّا علمت بهِ المشارق السامية والمحافل الكبرى عدّتهُ منافيًا للعهود الماسونيّة وناقضًا لاهمّ اساساتها (والاحرى ان يُقال انهم خافوا من الفضيحة فتنبث رائحة الماسونيّة النتنة) فنشرت في جرائدها ومحافلها كلها اعتبار الشرق السامي الفرنسويّ تاكثًا للعهد مخالفًا للمبادئ الطاهرة (وقد علمت وستعلم طهر الماسونيّة !) مناقضًا للتعاليم الادبيّة وحرّمت على اعضائها زيارة كل المحافل التابعة لهُ اذا كانت تصرّ على الغاء الاعتقاد بالله والخلود (وكنّا نعلم انّ الشرق الفرنسويّ مُصِرٌّ على نكرانهِ امّا الحزب الماسوني فكان جمجمة بلا طحن واحتجاجًا لستر عورة الشيعة) . ولمّا بلغ محفل لبنان هذه البدعة الحديثة (المكشفة بعد احتجاجها) قام اخوانهُ وقعدوا (بل قعدوا وناموا) لهذا الخبر وكتبُ في مقدّمة القائلين بالخروج عن طاعة الشرق السامي الفرنسويّ اذا اصرّ على بدعتهِ الجديدة (ما اعظم شهادتك عافرم يا شاهين! وماذا صنعت؟ اسمعوا الزعبرجي) واجتمعتُ باخواني اعضاء المحفل واتفقنا فكتبنا الى الشرق السامي الفرنسوي انّنا لا نرغب في الغاء السؤال عن الاعتقاد بالله والخلود (اي نكرانهما علانيّة) وانّنا لا نحبّ حذف هذه العبارة من قانوننا فاجابنا الشرق السامي: «اعملوا ما تريدون وابقوا كما كنتم» فسُررنا لذلك ولا يزال محفل لبنان يسأل هذا السؤال ويعتقد هذا الاعتقاد الى الآن

١) توفي شاهين بك في اواسط الشهر حزيران المنصرم بغتةً فحضر امام ربّهِ مزدانًا بسمات الماسونيّة والتاجا الشرقيّة التي عدّدها في صدر كتبهِ وهي تستغرق نصف الصفحة من هذه المجلّة . فلا شكّ انهُ يكون بازاء الديّان لمن الماسونيّة والقابها وذويها

فأمسكْ ايها القارئ عن الضحك ودعنا نسأل المرحوم شاهين بك الاسئلة الآتية وان كان الموت اسكتهُ عن الجواب فنطلب الى اخوتهِ بالماسونية ان يجيبونا ٠عرفتم ايها الجماعة انَّ الشرق الفرنساوي السامي الذي انتم تحت حكمهِ ألغى ذكر الاله وحقيقة خلود النفس أفما كان هذا كافيًا لتعلموا بأنَّ الماسونية مبنية على الزندقة وجحود الخالق؟ تقولون انكم لم تُسَرُّوا بهذا الخبر وقمتم وقعدتم لهُ . ولكن ماذا يفيدكم القيام والقعود ان بقيتم مرتبطين معهُ بروابط الطاعة ؟ تقول يا شاهين انكم « تهدَّدتم بالخروج عن طاعة الشرق السامي اذا اصرَّ على بدعتهِ » وقد أصرَّ ولا يزال مُصرًّا على كفرهِ وانتم لا تزالون تحت حكمهِ فاذن انتم موافقون لهُ على زندقتهِ . وبعد الوعد والوعيد كيف انتهت المسألة ؟ يقول شاهين بك انهم كتبوا ( بكلّ احترام ) الى الشرق الفرنسوي « انهم لا يرغبون في الغاء السؤال عن الاعتقاد بالله والخلود ولا يحبُّون حذف هذه العبارة » والتمس من هذه الكتابة كأنَّ ماسون سورية محتاجون الى اجازة شرق فرنسة السامي ليؤمنوا بالخالق ! وهكذا انتهى تهدُّدهم بالعصيان والاحتجاج على تلك المشيرة المطلَّة الكافرة . وتمَّ سرورهم اذ علموا بان الشرق السامي بقي هو على ضلالهِ ولكن سمح لهم ان يعملوا ما يريدون . فالآن عُدْ ايها القارئ الى القهقهة وأنظر مماحكات الشيعة الماسونية وتحقَّق بلا شك انها متأصلة في الكفر وان كان في المشيرة بعض الأغرار الذين لا يعلمون الحقيقة فقد ظهر الحق وزهق الباطل !

وان اردت شهادة صريحة على نكران الماسون في بلادنا ايضًا بوجود الخالق فراجع ما نقلناهُ في المشرق ( ص ٣٩٠ ) عن الريحانيات ( الجوبيَّة ) حيث جعل ذلك الكاتب الوقح البشر عمومًا كجرادين ( ولذلك دعوناهُ بالجردون الكبير ) لا يفقهون شيئًا من امور العالم ولا يعرفون ألهذا العالم صانع ام لا فيعيشون ويموتون كالبهائم !!!

٢ الماسونية والمعتقدات

ان كان الماسون ينكرون الخالق فما قولك بالمعتقدات الدينيَّة التي اوحى بها الله على يد انبيائهِ وخصوصًا بواسطة ابنهِ الالهي الكلمة المتجسّد لخلاص البشر قال الشرق الفرنسوي السامي في نشرة سنة ١٨٩٥ (Bulletin du Gr. Orient, Août-Sept 1895, p. 310) : « قرَّرت عشيرة الماسون بأنها تأبى اعتقاد اي حقيقة دينيَّة كانت » وليس هذا القول رأيًا خاصًّا بمحافل الماسونية الفرنسويَّة بل يشمل الماسونيَّة عمومًا .

والدليل على ذلك انّ الماسون سنة ١٨٦٩ لمّا علموا بقرب عَقد المجمع الفاتيكاني في رومية ارادوا هم ايضا ان يجتمعوا لإعلان مبادئهم فاجتمع منهم في نابولي ٧٠٠ نائب عن المحافل الماسونية في كل انحاء المعمور وكان بينهم نائب عن جهات سوريّة وترأّس هذا المحفل الرئيس « ريكردي وافتتح كلامهُ بقول اليهود عن المسيح امام بيلاطس (لوقا ١٩ : ١٤) « لسنا نريدهُ ملكاً » ثم اتّفقوا على نشر اعلان ضمّنوهُ المبادئ الماسونيّة على هذه الصورة كما نشرتهُ وقتئذٍ جريدة الماسون الرسميّة في فرنسة :

« انّ الموقّعين بذيلهِ نوّاب أُمَم العالم المتمدّن المختلفة المجتمعين في نابولي للاشتراك بالمجمع المضادّ (اي المضاد لمجمع الفاتيكان) يثبتون المبادئ التابعة . يعلنون حرّية العقل ضدّ السلطة الدينيّة واستقلال الانسان ضد استبداد الكنيسة والحكومة ثم يطلبون استقلال المدرسة الحرّة المجرّدة من تعليم ذوي الكهنوت . وهم لا يعرفون للعقائد البشريّة اساساً آخر الّا العلم . يعلنون الانسان حرّاً ويقرّرون ضرورة ملاشاة كل كنيسة رسميّة . . . . »

ويشبه هذا القرار كفراً وتهتّكاً اعلان نائب المحفل الاكبر في برلين ما تعريب بعض فقراته :

« انّ ذوي الافكار الحرّة يقرّرون ويعلنون حرّية الضمير وحريّة البحث (اي انتقاد عقائد الدين) ومعدم انّ العلم هو الاساس الوحيد لكل معتقد فهم يرفضون اذن كل عقيدة بُنيت على اساس الوحي ايّاً كان . . . . »

وليس حكمُ الماسون في بلادنا عن المعتقدات الدينيّة مختلفاً عن حكم عشيرتهم في بقيّة اقطار المعمور اسمع « الثعلب » وما ادراك من « الثعلب » هو امين ريحاني الذي اتّخذ لنفسهِ هذا الاسم وما أطيب ذوقهُ في اختيار الالقاب لنفسهِ كالجردون والثعلب . قال الثعلب في كتاب المحالفة الثلاثيّة حيث يسخر بكل الاديان وقبل الكلّ بديانة نفسهِ (ولذلك حكم احد الاميركيين بان يُلقى كتابهُ في الجو . . . اطلب المشرق ص ٤٧٨)

« لم تعلّموني الّا الخرافات والخزعبلات والاوهام . . لو كان للربّ ثلاثة اقانيم لكان النزاع بينهما (كذا) سائداً ابداً ولما تمكّن من تكوين هذا العالم (ص ٨٥) » . . . انّي لا اعتقد بالاله الانساني الذي تصفونهُ لنا باوصاف وهميّة مبهمة لا نستطيع ان ندرك مغزاها (ص ٨٦) . . . لا اعتقد بالحكم . انّي احتقر ربكم البشري (٩٠) . . . انّ الولادة تنفي البكارة اي انّ الامّ (يريد السيّدة ام الله) لا تكون قطّ عذراء (١٠٧) . . . .

وقس عليهِ بقيّة تجاديف هذا الثعلب الوسخ وكان الاولى ان يخصّ بنفسهِ اسم « الحمار » الذي جعلهُ في كتابهِ اسماً لاحد مناظريهِ واراد بهِ الاكليروس الشرقيّ !

### ٣ الماسونيّة والاسرار

ان الديانة لا تقوم فقط بالمعتقدات فانّ السيّد وضع اسرارًا سبعة يجد فيها المؤمن مدّة حياته ينبوع النعم التي تحيي نفسهُ وتقوّيها على تجارب الحياة وتزيدها كل يوم صلاحًا وبرًّا الى ان يفوز بالأكليل الذي وعدهُ الله لمن يعمل الصالحات ويجاهد في سبيله فيثيبهُ في ملكوته بالخلاص الابدي. فهذه الاسرار قد حاول الماسون قطع مياهها وافرغوا كنانة الجهد في ابطالها. فمن اقوالهم التي تفوّهوا بها في مجتمع الماسون سنة ١٨٩٥ ونشروها في نشرتهم الرسميّة (Bulletin du Gr. Orient ∴, 1895, p. 310): «انّ الماسونية تُعلن جهارًا انها تعتبر كلّ الفرائض الدينية كأعمال ضارّة بالانسان وبكمال البشريّة في عقلها وآدابها». وكان اولاد الارملة قبل ذلك بسنتين قرّروا في اجتماعاتهم ما تعريبهُ الحرفيّ (Bullet. du Gr. Or. ∴, 1893, 368-372) «لا يسوغ لاحد من الماسون ان يُرَقَّى الى شورى العشيرة الماسونية الّا بأن يعرض صكًّا ويضيهُ باسمهِ مصرّحًا بأنّهُ هو واولادهُ الصغار لا يشتركون مطلقًا بالفرائض الدينيّة»

وقد علم الماسون ما في الاسرار الكاثوليكية من القوّة لتوطيد الدين في القلوب ونموّ الايمان فسعوا بابطالها واذ هبط مسعاهم اخذوا منذ سنين يقلّدون الاسرار الكاثوليكية فوضعوا عمادًا ماسونيًّا وزواجًا ماسونيًّا ودفنًا ماسونيًّا وقد اكثروا الظاهرات والخطب «والزعبرات» لعلّهم يصدّون المؤمنين عن ممارسة اسرارهم الدينيّة فزيّنوا محافلهم واقاموا الاعياد المبهرجة واولوا الولائم وكل ذلك رجاء منهم ان يصرفوا النظر عن اسرار الكنيسة الحيية. وقد اخذ الماسون يتحفونا بمثل هذه «التلفيقات» في بلادنا ايضًا فان المقطّم في عدده ٦٣٧١ في ٢٠ مارس المتصرم وصف لنا حفلة زفاف ماسوني عُقد في محفل النجاح وهنّأ بلادهُ على انّ الماسون صاروا يجاهرون بحفلاتهم ومع هذا لستحي ان يصرّح باسم العروسين. وكنّا عزمنا على نقل هذا الفصل كلّهُ لولا طولهُ ففضّلنا ان نرسم هنا صورة العماد الماسوني والزواج الماسوني والدفن الماسوني وتلك الصور ادلّ على كل خزعبلاتهم

الماسونية والكنيسة

كما انّ السيّد المسيح اوحى الى العالم بالحقائق الدينيّة والمعتقدات والاسرار الخلاصيّة

كذلك أقام لحفظها وللذبّ عن حياضها جمعيَّة منظورة مركّبة من رأس منظور ورؤساء قانونيين واعضاء مرتبطين بوحدة الايمان ووحدة الاسرار ووحدة الطاعة وهم يسيرون الى وحدة الغاية اعني خلاص نفوسهم الابديّ. وهذه الجمعيَّة قد قبلت من منشئها مواعيد الثبات الى منتهى الدهور رغماً عن كل قوّات الجحيم (متى ١٦: ١٨). على انّ الماسون لم يقتنعوا بهذه المواعيد فأنهم حملوا حملةً واحدة على حجر الزاوية الذي تكلّم عنهُ الربّ (متى ٢٢: ٤٢—٤٤) وهم يؤملون تحطيمهُ ذاهلين عن قولهِ تعالى: «ومن سقط هو عليهِ يطحنهُ». فمن الشواهد الناطقة بسوء مقاصدهم ما نقله السيّد مرتين الامركي سنة ١٨٧٥ عن احد تقاريرهم السريّة فننشرهُ بالطبع:

« انّ الديانة الكاثوليكيَّة هي أكمل وافظع تمثيل لتصوُّر الله الباطل (كذا) وانّ مجموع عقائدها هو انكار الألفة بالذات فالماسون يفرضون وجوب العمل على ابطال النصرانيَّة بسرعة وعلى ملاشاتها واستئصالها بكل الوسائل حتى بالقوَّة الجبريَّة و بالثورة والفتن » كذا

وقد كان الماسون اوَّلاً اختاروا للدلالة على الكنيسة الكاثوليكيَّة اسماً ملتبساً لئلّا يدرك السذّج غايتهم فدعوها « الحزب الأكليريكي » لكنَّهم اليوم اماطوا القناع ولم يُبقوا في الامر ابهاماً قال احد ائمَّتهم (اطلب الكتاب المدعوّ La grande Ennemie, p. 35): « انّنا كنّا سابقاً ندعو اعداءنا بالحزب الاكليريكي (le cléricalisme) تحفُّظاً ومراعاةً للرسميّات وانما غايتنا الصحيحة التي نجاهر بها في محافلنا انما هي محاربة الكثلكة لأنّ كليهما واحد ليس بينهما فرق يُذكر »

وقال آخر مثلهُ (في الكتاب عينهِ): « انّ الغاية التي نرمي اليها ان ننزع الدين النصراني من فرنسة بكل الوسائط الممكنة واخصُّها بأن نضيّق على الكثلكة شيئاً فشيئاً الى ان نخنقها تماماً بما نسنُّهُ ضدَّها كل سنة من الشرائع حتى نقفل كل الكنائس ... فالكثلكة والماسونيَّة عدوّان لدودان لا تنتهي الحرب بينهما الّا بموت احدهما »

وقال زعيم الطريقة السكوتلنديَّة ديمون (Desmons) الذي توفي في هذه السنة: « قد التحم القتال بيننا و بين الكنيسة فحيثما يقوم الرجل الاسود (اي الكاهن) فليظهر الرجل الحرّ (اي الماسوني) وحيثما ينصب ذاك صليبهُ فلينشر هذا لواءهُ »

(لهُ بقيَّة)

# أُلوهيَّة الرجل الاسرائيلي

ردّ على جريدة العرب للاب لويس شيخو اليسوعي

نشر حضرة مبعوث آيدين محمّد عبد الله في جريدة العرب في تاريخ ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٢٨ فصلًا عنوانهُ « لكلّ أُمّة مفسدون » كتب في جملتهِ ما نصُّهُ :

« اني ارى من الفضول مداخلة نصارى العرب فيما يدور من المباحث بين العرب والترك لأنّ الترك اذا ذكروا العرب فلا يتصوَّرون غير المسلمين اذ هم لا يتمثّلون وجود رجل عربي يقول بألوهيــة رجل اسرائيلي ولا يقول بنبوَّة رجل عربيّ قائل لهُ «انا بشر مثلكم» على حين انهُ يرى لذلك النبي العربي كتاباً معجزاً كالقرآن »

فكان مؤدَّى هذه الفقرة ان النصارى لا حقوق لهم في المباحث السياسيَّة الدائرة بين العرب والترك اذ لا تنال تلك الحقوق غير المسلمين ولن المسلمين عرباً كانوا او تركاً يعدُّون اعتقاد النصارى بلاهوت المسيح هذياناً لا يخطر على فكر رجل عاقل

قلنا انَّ الكاتب بتسطيرهِ لهذه العبارة جنى جنايتين فاساء الى القوانين الدستوريَّة وجرح عواطف طائفة كبيرة من رعايا الدولة العثمانية . امَّا اساءتهُ الى الدستور فظاهرة اذ حاول ان يحصر الحقوق الدستوريَّة في احد عناصر الدولة دون سواه وذلــك مبدأ ينافي توًّا جوهر الدستور الذي هو مبني على الحريَّة والاخاء والمساواة بين كل عناصر الدولة دون تميز في مذاهب اصحابها . فكلهم عثمانيُّون ليس الا . ولا غرو انَّ قوماً من النصارى ردُّوا على مدَّعى كاتب جريدة العرب بل تصدَّى لقولــهِ المسلمون انفسهم كاصحاب المؤيد وصاحب المنار والمفيد والاتحاد العثماني وفي ردودهم الكفاية اذ ليس من شأننا الخوض في السياسيَّات كما انَّنا لا نتعرَّض للكاتب في مــا قالهُ عن نبي الاسلام وهو حرٌّ في معتقدهِ يدين باي دين شاء

امَّا مسُّ الكاتب لكرامة طائفة شريفة من طوائف الدولة فذلك في قولهِ « انَّ الترك لا يتمثَّلون وجود رجل عربي يقول بألوهية رجل اسرائيلي » وهو كلام فيهِ من التحقير ما يمجّهُ ذوق رجل اديب ويعدُّهُ النصارى كاهانة لدينهم اذ حسبَ الكاتب من الامور المستحيلة ان يتصوَّر تركيٌّ رجلًا عربياً يقول بألوهيــة المسيح فكانهُ يدَّعي

انَّ مذهب النصارى بالوهيـة السيّد المسيح ضربٌ من الجنون لا يمكن الاتراك ان يتصوَّروا رجلًا من العرب العقلاء يتمذهب به

فيا لله أإلى هذا الحدّ من الغرابة يبلغ دين النصرانية ؟ او يكون العرب في مقام هكذا رفيع من الدين حتى انَّ عربيّتهم لا يمكنها ان تقوم مع الدين النصراني ؟ فالى هذين القولين يرجع قول صاحب « العرب » وكلاهما فاسد كما سترى

١ ليس في تعاليم النصرانيّة شي من الغرابة

كل يعلم ان الدين المسيحي قام خلفًا للدين الاسرائيليّ فاخذ النصـارى كل ما اوحى به الله الى انبياء بني اسرائيل وحفظتْ الاسفار المقدّسة التي هي في ايدي اليهود وايدي المسيحيين على حد سواء . ومما تحتويه هذه الكتب المنزلـة توحيد الله والوعد بمجيء المسيح . وفي كليهما ايضًا يتّفق النصارى واليهود . ومن ثم ليس التوحيد خاصًا بالعرب وقد عرفهُ اليهود قبلهم بالفين وخمسمائة سنة وورثهُ عنهم النصارى فقالوا به ولا يزالون يثبتونهُ بالبرهان عقلًا ونقلًا . فالى هنا ليس شيءٌ من الغرابة في الدين النصراني كما ترى

قلنا انَّ اسفار اليهود تتضمَّن ايضًا ما خلا التوحيـد الوعد بمجيءِ المسيح الَّا انَّ اليهود يخالفون النصارى في وقت مجيئـه فينكرون انهُ اتى حتى الآن على عكس النصارى الذين يدافعون عن ذلك و يثبتونهُ بالادلّة المتعدّدة التي سبقت عهـد المسيح ورافقتهُ وتبعتهُ . والمسلمون يوافقوننا في حقيقة الامر فيقبلون بمجيءِ المسيح ويزيّفون معنا رأي اليهود

فان كان المسيح قد أتى وهو موعود الامم وقد اصطنع العجائب التي يقرُّ بها المسلمون فضلًا عن النصارى واثبت كونهُ رسولًا من الله لا يبقى الَّا ان تُقبَل تعاليمهُ كتعاليم الله الذي ارسلهُ ولا يجوز للانسان ان يتردَّد في صحّتها اذا ما تحقَّق انها لهُ . والحال انَّ النصارى قد اخذوا عن الحواريين وتبعتهم تلك التعاليم بعد المسيح بسنين قليلة فتراها مدوَّنةً في الانجيل الطاهر الذي دعاهُ القرآن (سورة المائدة) « هدى ونورًا ومصدقًا لما بين يديه (اي المسيح) من التوراة وموعظة المتقين » وليس احد ينكر انَّ الانجيل الطاهر يصرّح بالوهية المسيح وبتثليث الاقانيم في التوحيد ولا نظنّ ان حضرة الكاتب ينكر علينا ذلك

ولعلهُ يقول انّ انجيلنا محرّف فليتفضّل جنابهُ ويبيّن التحريف ما هو ومتى وقع وعلى يد من كان . فان قال تحرّف قبل الاسلام سألناهُ كيف امكن القرآن ان يجعلهُ بعد التحريف « نوراً وهدًى » ؟ وان قال بعد الاسلام احلناهُ الى النسخ المخطوطة من الانجيل الباقية الى يومنا وعهدها راقٍ الى ٣٠٠ سنة قبل الهجرة وهي منقولة الى عدّة لغات ولا تجدها تختلف عن الانجيل الذي يتداولهُ النصارى في عهدنا (راجع مقالتنا في الاناجيل القانونيَّة واناجيل الزور في المشرق ١١ : ١٩٤—٢١١ )

ولا يقولنّ الكاتب انّ الوهيَّة المسيح وتثليث الاقانيم ينفيان التوحيد كلاَّ فان السيّد المسيح قد صرَّح بانّ وحدانية الله في طبيعتهِ وجوهرهِ وكمالاتهِ تقوم بتثليث الاقانيم وان كنا لا ندرك هذا السرّ بتمامهِ لعظمتهِ. ولا عجب ونحن لا ندرك اموراً كثيرة من اسرار الطبيعة القريبة منا . اما الوهية المسيح فنستطيع ان نثبتها من القرآن نفسهِ حيث يقول في سورة النساء : ( انّ المسيح كلمة الله . . وروح منهُ ) فان سألنا ائمّة الاسلام عن تعريف كلمة الله وروحهِ اجابنا الشيخ سعد الدين التفتازاني : كلمة الله كلامهُ وهو قديم قائم بذاتهِ » واجابنا الامام الغزالي: « كلمة الله ازلي قائم بذاتهِ »

فان كان المسيح كلمة الله وكانت كلمة الله شيئاً ازليّاً قديماً قائماً بذاتهِ نتج عنهُ ضرورةً انّ المسيح هو اله متأنّس اذ ليس شيء ازلي قديم قائم بذاتهِ غير الله

ومثل هذا قولهم في روح الله فانّ صاحب كتاب الانسان الكامل يجدّ روح الله « الروح الالهي هو . . . روح الارواح المنزّه عن الدخول تحت كلمة كن يعني انهُ غير مخلوق لانهُ وجه خاصّ من وجوه الحق قام بهِ الوجود » . افيوجد شيء غير مخلوق منزّه من الدخول تحت كلمة كن وهو احد الوجوه التي يقوم بها الحق غير الله ؟ . فالمسيح اذن هو الله . فما ابعد هذه الاقوال عن زعم الكاتب بانّ تركيّاً لا يعقل وجود عربي يقول بالوهية المسيح

٢ ان العربية لا تمنع العرب عن القول بألوهية المسيح

رأيت في الباب السابق انّ الدين النصراني ليس هو من الغرابة على شيء وان الاسرار التي يعلّمها ليست هي اختراعاً منهُ بل اخذها من الوحي الالهي فان ثبت ذلك افيحظّ اعتقاد هذه الاسرار من شأن العرب ان امنوا بها . كلّا ثم كلّا اذ انّ البشر

مهما كان مقامهم من العظمة لا يتذلّلون بقبول الوحي بل على عكس ذلك يتشرّفون باعتقادهِ. ولا يستثنى العرب من هذا الحكم. وفي حقيقة الواقع نرى قبل الاسلام في بلاد العرب قبائل متعدّدة من العرب العرباء دانت بالنصرانية بل كان نصارى في نفس قريش وعمّت النصرانية دولًا تامّة كغسّان وملوك الحيرة وملوك كندة وبعض حمير ولنا في ذلك فصل مطوَّل ننشرهُ قريبًا ان شاء الله. وبقيت النصرانية في بعض جهات العرب كتغلب وطي حتى بعد الاسلام هــذا فضلًا عمَّن تنصَّر من المسلمين غير مرغومين منهم احد سلاطين مراكش الذي توفي في رهبانيّتنــا اليسوعية. فترى انَّ محمّدًا عبد الله ألقى الكلام على عواهنهِ ولم يتروَّ في ما كتب في حقّ النصرانية اكثر ممّا تروّى في كتابتهِ في حق الدستوريّة. وما كان اغناهُ عن هذا الكلام الذي جاء مفرّقًا للقلوب ومهينًا للنصرانية ونحن في اشدّ الحاجة الى ضم القوى لتزيد اتحادًا وترقيًا

---

# مطبوعات شرقية جديدة

An arabic History of Gujarat by 'ABDALLAH MUHAMMAD BIN 'OMAR AL-MAKKI al-Asafi, Ulughkhani. ed. by E. Denison Ross Ph. D. Vol. I. *London. J. Murray*. 1910, XV-290

القسم الاوّل من تاريخ كجرات لعبد الله محمد بن عمر المكيّ الاصفي الُغخاني

ان حكومة الهند الانكليزيّة ساعية في نشر الآثار الشرقيّــة التي تفيد تاريخ الاقطار الهنديّة الواسعة او بعض جهاتها. وممّا عُنيت بنشرهِ على نفقتها آخرًا تاريخ لبلاد كجرات يُدعى ظفر الواله بمُظفَّر وآله وضعهُ احد أدباء القرن العاشر للهجرة المدعوّ عبد الله ألُغخاني وقد قسمهُ قسمين سمّاهمــا دفترَين ففي الدفتر الاوّل دوّن تاريخ سلاطين كجرات الذين ملكوا عليها من السنة ٧٦٩ الى سنة ٩٨٠ (١٣٦٦ — ١٥٧٢) وفي الثاني وصف بقيّة الدول الاسلاميّة في الهند منذ القرن الثاني عشر الميلاد الى السادس عشر. وهو تاريخ فريد لا يوجد منهُ الّا نسخة واحدة بخط مؤلفهِ ولسوء الطالع قد سقط من اوّلها بعض الصحائف. وهذه النسخة وجدها في مدرسة كلكوتا الوطنيّــة جناب المستشرق دنيسون روس فنشرها بغاية ما امكنهُ من الضبط. وهذا القسم يتناول

الدفتر الأوّل فقط وسيليه الدفتر الثاني وفي نيّة جناب الطابع ان ينقل الدفترين الى الانكليزيّة ويضيف اليها الحواشي والفهارس فنهنّئ كل من عُني بهذا العمل لوفرة فوائده ولقلّة ما لدينا من اشباهه في العربيّة ل.ش

## INCUNABULA, XYLOGRAPHICA ET TYPOGRAPHICA 1455-1500

Lagercatalog. 586 - Joseph Baer und C°, Frankfurt A. M. Hachstrasse, 6

اقدم الآثار المطبعيّة من السنة ١٤٥٥—١٥٠٠

أتحفنا محلّ الكتبي الالماني الشهير يوسف باير بنسخة من اقدم الآثار المطبعيّة التي نُشرت بعد اكتشاف فنّ الطبع في المانية وايطالية وبقيّة البلاد الاوربيّة بين السنتين ١٤٥٥ و ١٥٠٠ وهذا المجموع الفريد مجلّد واسع ينيف على ٣٠٠ صفحة وصَنّهُ جناب الكتبي وصف نحو ٧٠٠ كتاب من الكُتب التي طبعت آنئذٍ في كل فنّ من الفنون العلميّة وقد غلب عليها المواضيع الدينيّة لأن الدين كما هو معلوم يتقدّم على بقيّة المعارف في حياة كل الشعوب · وكثير من هذه الكتب قد طُبع طبعاً متقناً لا يكاد يسبقهُ في حسنهِ اليوم اهل المطابع فكان ورقهم من اجود الورق وحروفهم من ابدع الحروف. وقد رسم صاحب الكتاب بعض صفحات من تلك التآليف كأمثلة فتراها آخذةً بالعيون لحسن صورها. ونرى كثيراً من هذه التآليف مزيّنة بالتصاوير المرسومة على الخشب حفراً بيد حافرين بارعين كانوا يقضون حياتهم بنقش تلك الرسوم فاراد ايضاً جناب الطابع ان ينقل منها شيئاً في مجموعهِ واذا هي طُرَف جميلة تنبئ بحذق اهلها. وهذه الكتب عزيزة الوجود يبلغ ثمن البعض منها لندرتها الى عشرين الف فرنك وازيد. وصاحب هذا المجموع هو مستعدّ لبيعها لأنها خاصّته وقد نشر كتابهُ لتعريف خواصّها الفريدة ل.ش

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES. VOL. XII.—Introduction à l'Histoire des Mongols de FADLALLAH RASHID ED-DIN par E. Blochet, *Leyden*, *E. J. Brill*

مقدّمة تاريخ المغول لفضل الله رشيد الدين

ليس بين التواريخ الفارسيّة تاريخ اوسع واشهر من التاريخ الذي ألّفهُ الوزير

رشيد الدين فضل الله وزير السلطان غازان الذي مات قتلًا سنة ٧١٨ (١٣١٨ م) ألّفهُ بامر مولاهُ وضمَّنهُ تاريخ العالم منذ انشائهِ الى أيامهِ وقد اتّسع خصوصًا في تواريخ قبائل الترك واجيال المغول ودولهم في حدود الصين وختاي والهند وكشمير وخوارزم بحيث أضحى تاريخهُ كموردٍ يستقي منهُ كل الكتبة الذين اتوا من بعدهِ. وكان قوم من المستشرقين قصدوا نشر ما صبر من هذا المجموع الكبير على آفات الدهر لاسيا الفرنسوي نابغة عصرهِ دي كاترمير (Et. de Quatremère) الذي نشر قسمًا منهُ وقدَّم عليهِ مقدمات تُعدّ كتحفة من تحف العلم الفرّاء. وقد عادت اللجنة المنسوبة الى جون ولكنسون جب فعوَّلت على نشر هذا التاريخ بتمامهِ في ثلاثة مجلّدات والكتاب الذي نحن الآن في صددهِ كمقدّمة لذلك الأثر الجليل تولّى تأليفهُ احد علماء باريس المسيو باوشه من نظّار خزانة كتب باريس الشرقيّة فبحث فيهِ عن كل ما لهُ علاقة بتاريخ رشيد الدين فعرَّف المؤلف ووصف احوالهُ وترجمتهُ وزاد عدَّة معلومات على ما سبقه اليه دي كاترمير ثم استطرد الى بيان تأليفهِ مجموع التواريخ والاصول التي رجع اليها وما لهُ من الفضل في سياقهِ وما نقلهُ عن غيرهِ من الكتبة وكيف انهُ كشف القناع عن عدَّة معمّيات منوطة بتواريخ المغول ودولهم وسلالاتهم. ثم ألحق الكتاب بفهارس غاية في الضبط فجاءت هذه المقدّمة احسن دليل على انَّ العلوم الشرقية لا تزال في فرنسة معزّزة رفيعة الشأن فنهنئ جناب المؤلف الذي عرفناهُ كاحد انصار الآداب ذا عزيمة لا يدركها الفشل. ونتمنّى ان يتعنا قريبًا باصل جامع التواريخ وبجزءهِ في اقسامهِ الثلاثة فيكسب شكر كل محبي الشرقيّات                ل. ش

CORPUS SCRIPTORUM CHRISTIANORUM ORIENTALIUM. SCRIPTORES ARABICI-TEXTUS — I. **Eutychii Patriarchæ Alexandrini Annales**. Pars posterior; accedunt Annales **Yahia Ibn Said Antiochensis**. Conjuncta opera ediderunt *L. Cheikho, B. Carra de Vaux, H. Zayyat* — II. SYNAXARIUM ALEXANDRINUM. T. I. fasc. III ed. *I. Forget*. — III SEVERUS BEN EL MOQAFFA'. T. I, fasc. II. Beryti e Typographeo Catholico, 1909-1910

تاريخ ابن بطريق ويحيى بن سعيد الانطاكي – السنكسار الاسكندري – تاريخ ابن المقفّع

مرَّ لنا في السنين السابقة ذكر المطبوعات النصرانيّة الشرقيّة التي اتّفق على نشرها بعض علماء اوربة تحت نظارة الخوري شابو. وهذه المطبوعات تشمل عدَّة لغات كالقبطية

والحبشية والسريانية. والقسم العربي منها تُعنى بنشرهِ مطبعتنا الكاثوليكية. فما نجز طبعهُ في هذه المدَّة الاخيرة الكتب الآتية. اوَّلها تتمَّة تاريخ سعيد بن بطريق من الهجرة الى زمن المؤلف في القرن العاشر وذلك نقلًا عن نسخة مخطوطة في مكتبتنا الشرقية مع مراجعة روايات عدَّة نسخ أُخرى في باريس. وقد الحق البارون كارا دي ڤو بهذا التاريخ مُلحقاً ليحيى بن سعيد الانطاكي يتضمَّن اخبار القرن العاشر من السنة ٩٣٨ للمسيح حيث انتهى ابن بطريق الى السنة ١٠٢٧. وهذا الملحق لم يُنشر منهُ قبلًا سوى قسم صغير بهمَّة البارون فون روزن (Bon von Rosen) المستشرق الروسي الشهير. وقد أُضيف اليهِ في ذيلهِ وفي اخرهِ روايات عن عدَّة نسخ مخطوطة منها نسخة للاديب حبيب افندي الزيَّات ونسخة وجدناها في مدرسة الثلاثة الاقمار في البلدة فتلطَّف اصحابها وسمحوا لنا بنسخها. وهذا التاريخ من الآثار الجليلة يحتوي افادات جمَّة عن النصرانية في ايَّام الدولة الفاطميَّة — والكتاب الثاني الذي نجز طبعهُ مؤخَّرًا هو الربع الثالث من السنكسار الاسكندري الحاوي لذكر القديسين في الشهور القبطيَّة الآتية اي تتمَّة هتور ثم كيهك ثم طوبه الى اوائل امشير (اطلب المشرق ٨ : ٩١٢). فلا يبقى لنهاية العمل سوى ربع واحد. وقد قام بنشر هذا الاثر حضرة الخوري فورجه البلجكي نزيل كليتنا سابقاً وذيَّلهُ ببعض الروايات والملحوظات — امَّا الكتاب الثالث فهو تاريخ بطاركة الاسكندريَّة لساويرس بن المقفَّع الذي كان نشر منهُ قسمهُ الاوَّل جناب المستشرق الألماني سِيبُلْد سنة ١٩٠٤ (المشرق ٧ : ٧٣٢) ثم انقطع عن العمل الى هذه السنة فنشر منهُ قسماً ثانيًا يتناول تراجم ثلاثة عشر بطريركاً من اغاثو خلف بنيامين في سنة ٦٧٣ للميلاد الى يوساب المتوفى سنة ٨٤١. وهذه الطبعة باقية على اصلها مع لهجتها العاميَّة وانَّما ذيَّلها الدكتور سِيبُلْد ببعض الروايات نقلًا عن مخطوطات شتَّى

ل. ش

## الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي. الجزء الثاني من السنة ١٨٧٠ الى ١٩٠٠

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠٠ (ص ٢١٠)

عرف قرَّاء المشرق هذا الكتاب ومحتواهُ وقد اخذنا نشرهُ تباعًا في مجلَّتنا منذ

ثلاث سنوات فلم تزل تواصل تأليفهُ حتى انجزنا آخرًا الجزء الثاني منهُ فأربى مجموع الجزءين على ٣٤٠ صفحة . ومع سعة هذا الكتاب وكثرة ما امكنَّا جمعهُ من تاريخ أدباء القرن المنصرم نحن مقرّون بما فيهِ من النقص اذ فاتتنا اشياء كثيرة عن احوال الآداب في بعض جهات الشرق العربي لاسيما البعيدة منَّا بل والقريبة ايضًا لقلَّة ما دُوّن فيها ولصعوبة الاتّصال الى ما بقي منها مشتَّتًا في خزائن الخاصَّة . فأملنا من لطف القرّاء ان يغضُّوا النظر عن هذه الشوائب ويفيدونا بما لديهم من المعلومات لعلَّنا نجدّد قريبًا طبع هذا الكتاب فنصحّحهُ ونزيدهُ تحسينًا فيكون كدستور يُرجَع اليهِ ويوثق بهِ في معرفة الآداب في القرن السابق حيث نشأت تلك النهضة العجيبة التي نستمدُّ اليوم من فضلها ونستقي من مواردها الطيّبة

ل . ش

## دروس التاريخ الاسلامي

### تأليف الاديب محيي الدين افندي الخيّاط

القسم الاوَّل يشتمل على مجمل تاريخ صاحب الشريعة الاسلاميَّة

طُبع في بيروت بنفقة والتزام المطبعة العصريَّة سنة ١٣٢٨ (ص ٦٢)

اهدتنا المكتبة الاهليَّة العامرة هذا الكتاب الذي وضعهُ الكاتب الشهير محيي الدين افندي الخيّاط لافادة المدارس الاسلامية . وهو كمقدّمة دروس اخرى للتاريخ الاسلامي يُلحقها بهِ قريبًا . وقد راجعنا الكتاب فوجدناه مزدانًا بصفات الكتب المدرسية من حسن تنسيق واختصار وايضاح افتتحهُ المؤلف بنبذة تمهيديَّة في التاريخ وقع فيها بعض اغلاط لا بُدَّ من اصلاحها في طبعة ثانية كقول جنابهِ (ص ٦) انَّ البعض قالوا «انَّ البشر وُجدوا قبل الهجرة المحمَّديَّة بأربعة الاف سنة» والصواب «قبل ميلاد السيّد المسيح» . وكان الاولى ان يضرب جنابهُ صفحًا عن قول القائلين دون ادنى سند علميّ (ص ٦) بانَّ البشر وجدوا قبل الهجرة «بلايين من السنين» فهذه اوهام وترّهات لا يجوز ان تُذكر في كتاب تعليم . وكذلك لم يقل مؤرخو الفرنج (ص ٦) بانَّ الصينيين والمصريين «وجدوا على سطح الارض منذ ستَّة آلاف سنة تقريبًا» بل يقولون انَّ تاريخهم يقتضي مدَّة نحو عشرة الاف سنة قبل المسيح وهذا مما يكن التسليم بهِ . ولنا على بقية الكتاب ملحوظات أخرى يطول بنا ايرادها . ومما لا نسلّم بهِ قول المؤرخ بانَّ

الامم (ولم يستثنِ النصرانية) كانت في حاجة الى الدين الاسلامي (ص ١٢ و١٣) ويؤخذ من القرآن ان محمدًا أُرسل الى ذويهِ فكلّمهم بلسانهم ل. ش

## الرسائل العصريّة

تأليف الخوري بطرس البستاني

طُبع في المطبعة الشلبيّة ليوسف صادر في بيروت سنة ١٩١٠ (ص ٣٦٢)

كانت مجاميع المكاتب التي تُنشر قبل عشرين سنة لافادة احداث المدارس مزوّقة الكلام كثيرة تكلّف الالفاظ والاسجاع زهيدة المنى قليلة الجدوى لا تكاد توافق الذوق السليم والآداب العصريّة حتى قام بعض ادباء الشام لاسيا النصارى فعدلوا عن تلك الطريقة وأنشأوا كتبًا تفنّنوا في اختيار مواضيعها وحسن سبكها دون تصنّع ولا تمحّل فراجت سوقها وتعقّب غيرهم آثارها. ومما وُضع آخرًا من هذا القبيل الرسائل العصريّة لحضرة الخوري بطرس البستاني من اساتذة العربية في كليّتنا فانّه اتّسع في المواد اتساعًا عجيبًا ووضع في كل ابواب الكتابة التي يحتاج اليها الاحداث في اطوار حياتهم رسائل متعدّدة جمعت بين سهولة الانشاء وانسجام الكلام وبلاغة المعاني جاريًا على موجب الافادات التي صدّر بها كتابه حيث وضع عشرين فصلًا في آداب الكاتبات. فنحن على يقين بأن كل من يطلع على هذا الاثر الجليل من ارباب المدارس يسرع الى اتخاذهِ كدستور لتعليم فن المراسلات. هذا ونشير الى حضرة المؤلف ان يُلحق في طبعة ثانية كل باب من المكاتبات ببعض المواضيع يترك انشاءها للطلبة ليرتاضوا بتوسيعها ل. ش

Questions historiques. Le Schisme de Photius par J. Ruinaut, *Paris, Bloud et C^ie^, pp.* 61

انفصال فوطيوس عن الكنيسة الرومانية

هذا الكتاب داخل في مجموع الابحاث التاريخيّة التي تولّت نشرها احدى الجمعيّات الفرنسويّة وليس في الحقيقة بحث اعظم خطرًا من هذا في القرن التاسع للميلاد اذ تمّ انفصال بوزنطية عن رومية. على انّ ذلك الحادث المظيم لم يجرِ على بغتة فانّ

اساقفة بوزنطية مذ يوم رأوا ملوك الروم اتخذوا القسطنطينية كدار السلطنة وجهوا نظرهم الى الاستقلال عن رومية ايضاً في الروحيّات مستندين الى مبدإ سياسي مضادّ لتعليم الانجيل وتقليد الاباء. فلم يزالوا ( الّا البعض منهم ممّن عُرفوا بقداسة سيرتهم ) يتابعون ذلك المبدأ خطوةً خطوةً حتى جعلوا بوزنطية كرسيًّا مستقلًّا عن حكم رئيس اساقفة سالونيك ثم خوّلوهُ دون رضا الاحبار الاعظمين امتيازات البطريركيّات ثم رفعوهُ فوق رتبة بطريركي الاسكندريّة وانطاكية الرسوليَّين فلم يبقَ في طريقهم شيء يحول دون مطامعهم في الرئاسة غير الحبر الروماني فقطعوا اخيرًا تلك الرابطة التي كانوا يرونها مذلّة لنفوذهم وسيطرتهم على كنائس الشرق واحتجّوا للدفاع عن عملهم بحجج لا طائل تحتها ليبرّروا بها نقض طاعتهم. فصاحب هذا الكتاب السيّد رودينو قد بيّن ذلك في هذا التأليف فبحث عن اصول الانشقاق واسبابهِ قبل عهد فوطيوس متتبّعاً تاريخ بوزنطية بنظر عام قدّمهُ على كتابهِ. ثم انتقل الى تاريخ فوطيوس وفصّل اطوار حياتهِ واثبت ما كان لهُ من الصفات والعلم الواسع وكيف شوّه تلك المحاسن بحبّهِ المفرط للرئاسة فسعى طاقة جهدهِ في مماحكة القديس اغناطيوس صاحب الكرسي القسطنطيني ودسّ لهُ الدسائس حتى نفاهُ وجلس بدلًا منهُ على الكرسي القسطنطيني. ولمّا عرف بذلك البابا نيقولا الاوّل حكم لاغناطيوس ضدّ فوطيوس الذي شقّ العصا وجاهر بخلع الطاعة لرومية وبلغت في ذلك جسارتهُ الى ان عقد مجمعاً من الاساقفة اتباعهِ وحرم فيه البابا. لكنّ الاحوال تغيّرت بعد مدّة بقتل الملك ميخائيل المعروف بالسكّير نصير فوطيوس وولاية باسيل المقدوني فاجتمع مجمعٌ قانوني عُزل فيهِ فوطيوس وأُعيد اغناطيوس الى كرسيهِ. الّا انّ موت اغناطيوس فتح باباً جديدًا لمطامع الدخيل واجتهد بترضية البابا يوحنّا الثامن فوعدهُ المواعيد الباطلة وكانت وفاة فوطيوس سنة ٨٩١ على انّ الكرسي القسطنطيني بعد وفاتهِ عاد الى طاعتهِ لإمام الاحبار وبقي الامر على ذلك دهرًا الى عهد البطريرك ميخائيل كرولاريوس الذي قطع نهائيًّا العلاقات مع رومية. هذا ما احتواهُ الكتاب الذي نحن بصددهِ ولولا ما اخذهُ الكاتب على نفسهِ من الاختصار لرأيناهُ مخلًّا في ايضاح عدّة مسائل لم يثبتها بالاسانيد الكافية وقد اوضحها غيرهُ من المؤرّخين الموثوق بهم المترّهين عن كل غرض في الكتابة كالالماني فوغت ( Vogt ) والكردينال هرغنرتر ( Hergenrother )

الاب ب. كانتاكيس

## الرشيد والبرامكة

رواية تمثيلية تاريخيَّة نثريَّة بقلم الاب انطون رباط اليسوعي

بيروت في المطبعة الكاثوليكيَّة

لا حاجة الى وصف هذه الرواية ومحاسنها بعد أن تذكَّره قرَّاء المشرق بمراجعة فصولها في اعداد المجلَّة منذ اوَّل هذه السنة · وغاية ما نقول — ولا نخاف في قولنا لومة لائم — انَّ هذه الرواية هي الى اليوم الرواية العربيَّة الوحيدة المبنيَّة على التاريخ الشرقي الصحيح مع مراعاة اصول فن الروايات · ولا عجب بعد ذلك مما نالتهُ من الاستحسان كلَّ مرَّة مثَّلها تلامذة مدارسنا في بيروت ومصر والاسكندريَّة وها قد جُمعت في كتاب مستقلّ مطبوع بغلاف جميل النقش زاهي الالوان فيستطيع كل من أحبَّ ان يسرّح في محاسنها الانظار ويستفيد من معانيها والفاظها ل · ش

## صناعة الانشاء في التأبين والرثاء

لحضرة الخوري يوسف المعشيتي

طُبع في المطبعة السليميَّة (عشيت) سنة ١٩١٠

صاحب هذا الكتاب من الوعَّاظ الذين يَسُرّ الناس باستماعهم لبلاغة كلامهم وفصاحة عباراتهم · وله في ذلك عدَّة خطب ألقاها في احوال مختلفة وفي نيّتهِ ان ينشرها بالطبع لافادة الجمهور وها هوذا قد اختار منها عشر خطب في التأبين والرثاء فطبعها في مطبعة عشيت واضاف اليها عظةً في المحبة · وقد تصفَّحنا هذه الخطب فوجدناها اهلًا برجل ضليع بالخطابة مُتفنّن في ضروب الكلام محسن لصناعة الانشاء يستخلص من احوال الموتى تعاليم للاحياء يستعدُّون بها لملاقاة ربّهم · ولولا شيءٌ من التصنُّع في هذه الخطب وبعض المبالغة في مدح المؤبَّنين لقلنا أنها اجود مثال لمن يريد ان ينسج على منوالها ل · ش

## هدايا أرسلت الى ادارة المشرق

١) برنامجات سنويّة عن السنة ١٩١٠ : ١ً لشركة مار منصور دي بول في بيروت (ص ٢٥) =٢ً لاخوية الانفس المطهرية (ص ٤٠) =٣ً لجمعيّة مار افرام السرياني (ص ١٦) =٤ً لجمعيّة كنز الرحمة الكلدانيّة (ص ٩) =٥ً للجمعيّة الخيرية الارثودكسية (ص ٢٣)

٢) قوانين جمعيّات : ١ً اتحاد عثماني قلوبي نظامنامه اساسي سنة ١٣٢٤ . وهو قانون نادي الاتحاد العثماني بالتركيّة والعربية (ص ١٧) =٢ً قوانين جمعيّة شبان مار لويس غونزاغا التابعة لاخويّة الامّ الحزينة (ص ٨) =٣ً قانون جمعية الاتحاد العثماني في القاهرة (ص ١٦)

٣) رسالة رعائيّة في شجب الطريقة المسيحيّة وهو منشور سيادة المطران انطون عريضه رئيس اساقفة طرابلس الشام لصوم سنة ١٩١٠ الذي حاول المأسون الناءه فحبط مساعيهم (ص ٣١)

٤) رسالة من الزائرين الرسوليين الى عموم الرهبانيّات الثلاث المارونية البلديّة والحلبيّة والانطونيّة (ص ٤٥)

٥) المدارس اللادينيّة . نظر تاريخي اجتماعي بقلم د. السوريّ (ص ١٦)

٦) بيان وظهور الملّة في جسم مجلس الملّة المارونيّ (ص ٢٢)

٧) لآلئ فلسفيّة لبعض تلامذة مدرسة القديس بطرس في بسكنتا (ص ١٥)

٨) المسئلة اللبنانيّة : نظام لبنان الاساسي وقرارات الدول مع مقدّمة وحواشي بقلم يوسف افندي السودا La Question Libanaise : *Règlement organique et Protocoles* طبع في مصر (ص ٤٠ + ٣٠)

٩) زبدة الآراء في الشعر والشعراء جُمعت بقلم حليم ابراهيم دمّوس . طبعت في منتريال كندا (ص ١٩)

١٠) المادّيات والكماليّات وفي اي منهما نحن الان . خطبة للدكتور كامل سليمان الخوري عيسى (ص ٢٢)

١١) صولتْ العيالى عثماني محررى ع . عرفان بر جوق تجربه ونتبع اوزرينه مرتّب اولوب برآي ظرفنده قراءتي تعليم ايدر — درسعادت ١٣٢٥ — ١٣٢٨ (ص ٧١)

## شذرات

معموديّة الهراطقة — نشرت مجلّة المشرق مقالات دينيّة اثبتت فيها ان المعموديّة لا تكتسب شيئاً من ايمان خادم السرّ وبرارته ولا تخسر لكفره وخطيئته (المشرق ٩ : ١٦١ و ٢٠٤) وبيّنت ان المجامع لم تحكم بتكرار المعموديّة المعطاة من المبتدع اذا حفظ النيّة والمادّة والصورة المفروضة (المشرق ١٣ : ٨٩) فكان

من ثمَّ اللاتيني والاروني والقبطي الخ نصارى حقيقة كالارثوذكسي معمَّدين بمعموديَّة المسيح لا كفرة ولا وثنيين واذا ارتدَّ الهرطوقي الى حضن الكنيسة الحقيقيَّة تائبًا قُبل كأخ ضلَّ فعاد من ضلاله او كالابن الشاطر لا كالغريب ولا كعابد الاوثان . فكتبت مجلَّة الكلمة الاميركيَّة مقالة غريبة المنهج ختمتها بما ننقله بالحرف الواحد (ص ١٥٣) :

(الخلاصة) « ان كنيستنا القويمة الرأي الارثوذكسيَّة المشهورة بمحافظتها الشديدة على تسليم الرسل القديم وتعليم الآباء والمجامع المسكونية القويم كانت ولا تزال تجري في مسألة عماد الهراطقة والمشاقين مجرى المدبّر الروحي الحكيم . ففي الاماكن والبلاد التي تأمن فيها شرَّهم وتؤمل امكانيَّة استمالة كثيرين منهم الى الارثوذكسيَّة تجري على خطَّة التساهل والتدبير الكنائسي فتقبل معموديَّة اولئك منهم الذين يتعمَّدونها قانونيًّا باسم الاب والابن والروح القدس كما تفعل الآن الكنيسة الارثوذكسيَّة الروسيَّة مع اللاتين وبعض الجماعات البروتسطانيَّة في بلادها حين اتحادهم بالكنيسة الارثوذكسيَّة . امَّا في الاماكن والبلاد التي تخشى فيها وقاحتهم وشرورهم وتحرُّشاتهم بها ولا امل لها بامكانيَّة استمالتهم الى الارثوذكسيَّة فتجري على خطَّة الدقَّة والصرامة معهم فلا تقبل معموديَّتهم كما هو الجاري الآن في جميع البطريركيَّات الارثوذكسيَّة اليونانيَّة » .

(نقول) قد اخذنا العجب والاسف كل مأخذ وما كنَّا لنصدّق مثل هذا الكلام لولا صراحته . فهل يرضى الكاتب الجليل بهذا المبدأ الذي يجعل سرَّ المعموديَّة المقدَّس – وهو باب الاسرار المسيحيَّة واساسها – عرضة لتقلُّبات الزمان والمكان تكون صحَّة السرّ او عدمها اموراً لاحقة بالتساهل هنا والصرامة هناك ؟ افتكون المعموديَّة حقيقيَّة في الكنيسة الروسيَّة الارثوذكسيَّة وغير حقيقيَّة في الكنيسة الانطاكيَّة الارثوذكسيَّة وبالتالي يكون زيد مثلًا مسيحيًا في موسكو ووثنيًا في سورية . وهَب انَّه سافر من هذه البلاد – حيث كان يحسب غير مسيحي – فاستنار بنور الحق ودخل في الكنيسة الروسيَّة الارثوذكسيَّة ثم رُسم كاهنًا او اسقفًا بدون ان يجدّد عماده ثم عاد الى الاوطان . ايعود الى ما كان عليه قبل العماد فينكر انَّه اسقف وكاهن ومسيحي . لا لعمر الحق انَّ هذا اقول نجلّ سيادة صاحب الكلمة عن الرضى به مهما كَرُ علينا التصريح ل . ر

السكك الحديديَّة في العالم ۞ افادت المجلَّة الالمانية ( Archiv fur Eisenbahnwesen ) التي تبحث عن كل امور السكك الحديديَّة انَّ طول هذه السكك الحديديَّة بلغ في آخر سنة ١٩٠٩ نيفًا ومليون كيلومتر بزيادة نحو ٢٥,٠٠٠ على العام السابق وكان طول هذه السكك في آخر سنة ١٩٠٨ : ٩٨٣,٨٦٨ كيلومترًا . واميركة الشمالية لها السبق على كلّ الدول في ذلك فانَّ طول سككها اذا

حُسبت الولايات المتّحدة وكندا يبلغ نحو ٤٠٠,٠٠٠ كيلومتر اعني اكثر من ثلث مجموع السكك في العالم كلهِ واذا اضفتَ اليها سكك اواسط اميركة وجنوبها اتافت سككها على نصف سكك العالم. ومجموع السكك الحديديّة في اوربة لا ينيف على ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر منها ٦٠,٠٠٠ لالمانية ومثلها بالتقريب لروسيا. ثمَّ فرنسة ٥٠,٠٠٠ ثم النمسة ٤٣,٠٠٠ ثم بريطانية العظمى ٣٨,٠٠٠. ومجموع السكك الحديديّة في آسيا كلها لا يزيد عن ٩٥,٠٠٠ كيلومتر وفي افريقية ٣١,٠٠٠ وفي استراليا ٢٩,٠٠٠

**البنّ في البرازيل** ان مجموع ما يُجنى سنويًّا في العالم من البنّ ما كان يتجاوز قبل سنة ١٨٧٥ ٧,٠٠٠,٠٠٠ كيس ووزن الكيس ٦٠ كيلو. امَّا اليوم فكاد يبلغ ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ كيس فالبرازيل لهُ من هذا المحصول السهم المعلّى فانَّ تلك البلاد تغلّ وحدها خمسة اسداس المجموع لانَّ مجتنى البن بلغ في البرازيل في السنة ١٩٠٧ ١٨,٠٠٠,٠٠٠ كيس اكثرها من مقاطعات سان پول. اما بقيّة البلاد كجزائر انتيل وجاوة وبورنيو واليمن فانَّ مجموع محصولها كلّها ٤,٠٠٠,٠٠٠ فقط. واكثر الناس شربًا للقهوة البلجكيّون فانَّ الواحد منهم يشرب سنويًّا ٧ كيلو ونصف

**طائر طويل العمر** افادنا من معلولا حضرة الخوري باسيليوس عيسى ان الخواجا موسى بن يوسف دروبي من معلولا بينما كان يشتغل في كرمهِ في نيسان المنصرم اذ وقع بقربهِ عدَّة كراكي منها واحد اكبر كاد يتلف هر(؟) وعليهِ نمس اي قل الدجاج فلمَّا رآها وثب عليها ففرَّت منهُ الَّا كبيرها المُنهك القوى فتأمَّلهُ واذا في رجلهِ سوارة (اسوار) عليها كتابة فقطع رجلهُ واخذها مع السوارة وهي من معدن ابيض. امَّا الكتابة فقرأها حضرة الخوري باسيليوس وشاهدها كثيرون وهي مكتوبة باللاتينيّة وتاريخها سنة ١٦٧٦ كتبها احد المربّين للطيور اسمهُ كوزبات من بودابست في بلاد المجر لعلّهُ فعل ذلك اختبارًا لمعرفة طول سنّها لمَّا الكتابة فهذه صورتها

ORNITH. KOZPONT

BUDAPEST. HONGRIA. 1676

(المشرق) لا نريد نحكم في امر هذه الكتابة قبل ان نطّلع على الاسوار ونتبيّن قدمهُ وها نحن مرسلون هذا العدد من المجلّة الى بودابست فنطلب ايضاحات عن صاحب الكتابة وزمانهِ وسنعود الى ذلك مرَّة اخرى ان شاء الله

# أسئلة وأجوبة

س سألنا من سان فرنسيكو يوسف افندي تلميف: ١ً ما هي حالة القناصل العثمانيين في اميركة أهم قناصل رسميّون لهم حقوق قناصل الدول في البلاد الاجنبيّة ام هم شرفيّون فقط ٢ً لاي سبب لا يجوز لكهنة بلاد الغرب ان يتزوَّجوا بخلاف الكهنة الشرقيين

القناصل العثمانيّون في اميركة — زواج الكهنة

ج نجيب على (الأول) انَّ نصب القناصل العثمانيين في اميركة حديث العهد تعرفهم الدول الاميركية كممثّل لاشغال المهاجرين يتوسَّطون بينهم وبين دولتهم لكنَّها لم تخوّلهم الامتيازات التي يتمتَّع بها قناصل الدول في جهات الشرق . وهم شرفيّون اكثر منهم رسميّون . وجوابنا على (الثاني) انَّنا سبقنا فكتبنا في المشرق (٩ : ٨٠٠ — ٨١١) بحثاً مطوَّلاً عن زواج الاكليروس ورددنا بادلَّة متعددة على ما كتبتهُ مجلة النور (النعاقي) وبيّنا هناك كيف الكنيسة اعتبرت في كل زمن تبتُّل الكهنة من واجبات الكهنوت وكيف دخلت العادة في الشرق بان يُسمح للكهنة المتزوّجين قبل الكهنوت ان يعيشوا بصحبة ازواجهم وما انتج ذلك من الانحطاط في الاكليروس الشرقي

س سألنا ر. س احد ادباء البلدة ما هو رأينا في ماسونيَّة الملك ادورد السابع الذي رسم المقتطف صورتهُ بالحلة الماسونية (يونيو ١٩١٠ ص ٥٢٥)

الملك ادورد السابع والماسونية

ج سبق لنا في المشرق انَّ الماسونيَّة تخوّل بعض الملوك امتيازات الماسون وتجعلهم رؤساء شرف دون ان توقفهم على شيءٍ من اسرارها . وقد قبل بعض الملوك هذه الميزة لغايات سياسيَّة املاً منهم ان يتلافوا بذلك دسائس الماسون او يعدلوا بها عن ذبذهم لناصية الدول المعادية لهم . ومذ اواسط القرن الثامن عشر اعتاد الماسون ان ينصّبوا شرفاً ولاة العهد في انكلترة على شيعتهم فلمَّا كانت سنة ١٨٦٨ وجّهت الماسونيَّة الى ادورد السابع وهو ولي العهد شعار اساتذة الماسونيَّة فقبل رئاسة الشيعة ولا نراه في وقت ملكه لفظ باسمها او تعزَّز بمبادئها . وزد على ذلك انَّ الماسونية في البلاد البروتستانية لم تبلغ في التهتُّك والكفر مبلغ المشيّعة في البلاد الكاثوليكية لأنَّ اعداء الماسونية الكبار ليسوا البروتستانت وانَّما هي الكنيسة الكاثوليكية والصخرة البطرسية التي لا تقوى عليها قوَّات الجحيم

ل . ش